سفير التطهير
سلسلة المحققان نقية وسليمان
العدد 2
رواية
هبة الله رزق عيسى

سفير التطهير

هبة الله رزق عيسى

سلسلة المحققان تقية وسليمان

العدد الثاني

سلسلة المحققان تقية وسليمان

العدد الثاني

رواية

سفير التطهير

الكاتبة

هبة الله رزق عيسى

تدقيق لغوي وتصميم غلاف خارجي وداخلي
وتنسيق داخلي وتعبئة: هبة الله رزق عيسى.

مقدمة

جريمة تلو جريمة! وقاتل لا يكل ولا يمل! وطرق قتل مختلفة وعجيبة لم يسبق لها مثيل في دنيا الجرائم! لا دليل عليه يتركه خلفه ولا أثر يبقى من الجثث بعد اكتشافها! كيف سنعرفه إذًا؟! هل لهذه القضية من حل أم أننا أمام جرائم كاملة وقاتل مبهم مستمر فيما يفعله دون خوف، هل ستُحل هذه القضية أم ستدخل عالم الغموض للأبد؟

الفصل الأول

"سعدون"

• يا سيد "سعدون"، يا سيد "سعدون". لمَ لا يرد هذا؟ لقد تعبت وأنا أناديه، أيعقل أنه ما زال نائمًا؟ وكيف سأعرف وهو يسكن بالطابق الثاني ويغلق بوابة الدخول وليس لديه جرسًا حتى لا يزعجه أحد، يا له من عجوز بخيل!

● أتحادث نفسك؟

التفت "عُمَيْر" بفزع ليرى من المتحدث وعندما رآه تنفس الصعداء ثم قال: لقد أفزعتني يا جدي، ألا يكفيني فزع هذا المكان الموحش؟

رد عليه جده وهو يضحك ساخرًا منه: لا أدري ما سر خوفك من هذا الرجل؟

أجابه عمير: أنا لا أخافه هو فقط، بل أخاف بيته وما حوله، أشعر كأنه بيتًا للأشباح وأن هذا الرجل ساحر.

تعالت ضحكات جده أكثر وقال من بين ضحكاته: لقد تماديت في تفكيرك كثيرًا يا فتى؛ إنه مجرد رجل بخيل، وهكذا هم البخلاء، يُشعرونك حال رؤيتهم بالغموض وكل ما حولهم يوحي بذلك لدرجة أنك قد تظن أنهم من عالم الجن وليسوا أشباحًا فقط، عوضًا عن كرههم للتعامل مع البشر أو حتى الحيوانات؛ فكل ما به الروح بالنسبة لهم هو خطر عليهم يريد سرقة أموالهم أو استغلالهم للإفادة منها.

رد عمير: بخيلًا كان أو شبحًا فأنا أرتعب منه، لا تبعثني إليه مجددًا يا جدي، أرجوك.

قال الجد وهو لم يكف عن الضحك بعد: أتخافه لهذه الدرجة؟ وماذا عساي أن أفعل يا ولدي؟ أنت تعلم أنه قد وهن جسدي وضعفت صحتي ولا أستطيع المجيء وحدي إليه، كما أنك تعلم أننا بحاجته؛ فهو المهيمن على اقتصاد القرية بامتلاكه لكل المراكب التي نستخدمها نحن الصيادون في الصيد، وهذا الماكر لا يقبل أن يتركها لنا لنستخدمها في الصيد وندفع له الإيجار فقط ولكنه يشترط عودتها إلى المرفأ حول بيته كل مساء، يخشى أن نسرقها، من هذا الغبي الذي يستطيع سرقته؟

رد عليه عمير: أعلم ذلك يا جدي، نعم نحن مضطرون لمعاملته، ولكن هل سنظل هنا طوال

اليوم؟ لقد أقمنا صلاة الفجر وما هي إلا دقائق وينبثق ضوء النهار، سنتأخر عن الصيد هكذا ورزق الصباح، إنه لا يجيب على نداءاتي فماذا سنفعل؟ أننتظره ربما يكون نائمًا أم نأخذ مركبًا ونعيدها في المساء؟

أجابه الجد بغضب: ماذا تقول؟ أتريدنا أن نأخذ مركبًا دون استئذان؟ أتعرف عني أنني بهذه الأخلاق؟

رد عمير بحزن وأسف وهو يطأطئ رأسه للأسفل: آسف يا جدي لم أقصد، ولكن ها هم الصيادون قد أتوا؛ رأيتهم قادمين من بعيد فقلت هذا، هكذا نحن جمع وكل منا يأخذ مركبًا ونباشر أعمالنا ونعيدها له في المساء، فهل يعقل أننا جميعًا سنسرقه؟ من المؤكد أنه سيعرف أننا من أخذناها.

قبل أن يرد الجد كان باقي الصيادين قد وصلوا حيث يقفان أمام بيت الرجل وسألوهما عن سبب وقوفهما هكذا فأخبراهم عما حدث فوافق الصيادون على رأي عمير فانصاع الجد لرأيهم بعدما أقنعوه أن هذه ليست خيانة للأمانة كما يظن هو.

ما إن سمع عمير موافقة جده حتى هرول بسعادة وسبقهم حيث المرفأ خلف البيت فذهبوا خلفه وفور أن وصل الفتى ورأى ما رآه حتى ناداهم قائلًا وهم يتقدمون نحوه: انظروا! أنا منذ انتهاء صلاة الفجر وأنا أناديه أمام بيته حتى كاد صوتي أن يهلك وهو هنا نائم على أرضية المرفأ!

سأل أحد الصيادين بتعجب: كيف ينام هنا في هذا البرد ويترك بيته الدافئ؟

أجابه الفتى: أهذا فقط ما لفت نظرك؟ بل قل كيف لم يستيقظ على أصواتنا تلك؟ ولماذا هو نائم هكذا على وجهه؟ كيف يتنفس؟

قال الجد بتوجس: ربما قد أصابته غيبوبة أو فقد الوعي، افحصه عن قرب يا ولدي لنتأكد إن كان نائمًا أم مريضًا.

ارتعب الفتى وقال: لماذا أنا؟

نظر له جده بنظرة أسكتته فقال بانصياع: أمرك يا جدي.

ثم توجه نحو الرجل ولَكَزَهُ في كتفه بهدوء ولكنه لم يتحرك فلكزه بقوة ولم يتحرك أيضًا، نظر لجده نظرات يملؤها التساؤل والدهشة

فقال له الجد: اقلبه على ظهره لنرى وجهه ونعرف ماذا أصابه؟

نفذ الفتى ما طلبه جده وقلب الرجل وما إن قلبه ورأى وجهه حتى انتفض من مكانه واقفًا وقفز للوراء بخوف وهو يصرخ من شدة الخوف مما رآه! لقد وجد وجه الرجل مشوهًا! يبدو أن أحدهم قد نزع جلد وجهه بطريقة سادية ليعذبه! ولكن كيف مات من مجرد نزع الجلد؟ ومن فعلها يا ترى؟

ما زال الفتى يرتجف من الرعب وقد احتضن جده ليشعر بالطمأنينة. وقف الجميع في ذهول من هول الموقف ولم ينبسوا ببنت شفة فقد أخرستهم الدهشة والرهبة.

تكلم الجد بعد فترة من الصمت وقال بهدوء وحكمة كعادته: فليهدأ الجميع، ما حدث قد

حدث، والآن يجب أن نخبر الشرطة حتى يأخذوا الجثة من هنا ويحققوا في الأمر، من منكم معه هاتف؟

رفع أحد الصيادين يده فطلب منه الجد أن يهاتف الشرطة ويعطيه الهاتف ليحادثهم. فعل الصياد ما طلبه الجد ثم أعطاه الهاتف فأخبر الشرطة بما حدث، وبعد وقت ليس بالقصير حضرت الشرطة ومعها فريق البحث الجنائي والذي يتكون من بعض الباحثين الجنائيين وبعض الأطباء ويتكون أيضًا من كيميائيين وهما؛ تقية وسليمان!

الفصل الثاني

"لطيفة"

• لطيفة.. يا لطيفة.. هيا سنتأخر.

● آتية.

أتت لطيفة؛ العروس الجديدة ذات ال17 عامًا تهرول ملبية نداءات زوجها حتى يقوم بتوصيلها إلى مدرستها الجديدة في القرية المجاورة قبل أن يذهب إلى عمله.

▪ ألن تتناولي إفطاركِ قبلُ يا ابنتي؟

قالتها أم زوجها التي تحبها وتحنو عليها كابنتها.

أجابتها لطيفة بحُنو وهي تقبل يدها ورأسها: لا يا أمي، لقد تأخرنا، وحمدان ينادني، وأخشى أن أؤخره أكثر من ذلك.

فقالت لها حماتها بحنان الأمهات: كيف تخرجين من دون طعام؟ ستصابين بالضعف، خذي هذه الساندويتشات معك أعددتها لك لتأكلينها، لا تنسيها، أفهمتي؟

- حسنًا يا أمي، إلى اللقاء يا غالية.

قالتها لطيفة ثم هرعت مسرعة للخارج حيث ينتظرها زوجها وهو يقف بجوار دراجته النارية فركباها وتحركا صوب المدرسة الثانوية التجارية التي انتقلت إليها لطيفة مؤخرًا لتكمل تعليمها بالقرب من بيت الزوجية بدلًا من الذهاب إلى مدرستها القديمة في بلدتها

البعيدة حيث كانت تعيش مع أبويها قبل زواجها. بعد حوالي ربع ساعة وصلا أمام المدرسة فنزلت لطيفة من على دراجة زوجها ووقفت أمامه وقد بدا عليها التوتر البالغ فسألها حمدان بقلق: ما بكِ يا حبيبتي؟

أجابته لطيفة: هذا أول يوم لي في هذه المدرسة ولا أعرف فيها أحدًا، أشعر أنني غريبة تائهة.

أجابها حمدان برقة: لا تنزعجي يا طفلتي، سوف تعتادين المكان سريعًا وتُكَونين صداقات وتحبين المكان جدًا، هيا ادخلي على بركة الله وانتبهي لنفسك جيدًا، وبإذن الله سآتي بعد انتهاء يومك الدراسي في وقت استراحة العمل لأوصلك للمنزل فانتظريني.

قالت لطيفة: حسنًا سأنتظرك، لا تتأخر، إلى اللقاء يا زوجي العزيز.

قال حمدان وهو يقبل رأسها مودعًا: إلى اللقاء يا حبيبتي.

توجهت لطيفة صوب بوابة المدرسة تملؤها الرهبة وما إن دخلتها حتى تحرك حمدان بدراجته متجهًا إلى عمله.

في منتصف اليوم الدراسي مر مدير المدرسة على الفصول وأخبرهن أن هذا أول يوم وليس فيه نشاط دراسي لذا فقد سمح لهن بالخروج مبكرًا اليوم وأمرهن بالعودة إلى بيوتهن ومن الغد سيبدأ الجد والاجتهاد.

فرحت الفتيات وهللن وخرجن مسرعات صوب بوابة المدرسة متوجهات إلى بيوتهن ما عدا لطيفة التي توترت أكثر ولم تعرف ماذا ستفعل.
نهضت من مجلسها وتوجهت ببطء وخطوات متثاقلة إلى خارج الفصل ومنه إلى خارج المدرسة ووقفت تنتظر زوجها أمام بوابتها.
انتهى الجميع من الخروج وخَوت المدرسة من كل من كانوا فيها وبقي الحارس الذي خرج هو الآخر وأغلق البوابة خلفه وبينما يستعد للذهاب وجد لطيفة تقف خائفة فسألها: لِمَ تقفين هكذا يا بنيتي؟

أجابته لطيفة بتوتر: أنتظر زوجي ليأتي ويأخذني إلى البيت.

سألها الحارس مجددًا: ومتى سيأتي زوجك؟

أجابته لطيفة: ربما بعد ساعتين عندما يحين وقت استراحة عمله، فهو لا يعلم أننا سنخرج مبكرًا.

ذُهل الحارس وقال: ساعتين! أستنتظرين وحدك هنا لساعتين؟ إن المدرسة كما ترين منعزلة عن البيوت وسيصبح المكان موحشًا لعدم وجود أي بشر هنا، هاتفيه ليأتي ويأخذك الآن.

قالت لطيفة والدموع تترقرق في عينيها: ليس معي هاتف.

سألها الحارس: هل تحفظين رقمه إذًا فأهاتفه أنا؟

بكت وقالت: لا.

فقال لها الحارس محاولًا تهدئتها: اهدأي يا ابنتي، أنت مضطرة الآن للعودة وحدك إلى بيتك.

قالت لطيفة من بين دموعها: كيف أعود وحدي؟ لا أعرف الطريق؛ فبيتي في قرية مجاورة وهذه أول مرة لي أزور فيها هذه القرية ولا أعرف الطرق؛ أنا من بلدة بعيدة عن هنا وتزوجت منذ شهر واحد ولم أخرج من البيت إلا اليوم ولم أستطع حفظ الطريق.

حزن الحارس لحالها وقال لها: ما اسم قرية زوجك؟

أجابته لطيفة: الدهمون.

ابتسم الحارس وقال لها ممازحًا: إنكِ تُهَوِلِينَ الأمور، إنها القرية الملاصقة لقريتنا هذه وتبعد نحو اثنين كيلو مترًا فقط، الجميع يأتي منها سيرًا على الأقدام، لا تخافي واعبري هذا الجسر -وأشار بيده إلى جسر مقابل بوابة المدرسة يمر من فوق ترعة إلى الطريق الترابي في الجهة المقابلة- وسِيري من الطريق الترابي أفضل لكِ بعيدًا عن السيارات، وإذا أسرعتِ ربما تلحقين ببعض فتيات البلدة فهم يعودون من هذا الطريق وقد ذهبوا منذ قليل فاتبعيهم حتى تَصلي إلى قريتكِ، لا تخافي فالطريق مستقيم ولن تشعري بالتيه، أعتذر منكِ يا ابنتي فلولا أن قدمي مكسورة لم تتعافى بعد لأوصلتك ولكن لا أستطيع السير كل هذه المسافة وليس معي وسيلة مواصلات.

أجابته لطيفة بامتنان: لا عليك يا عماه، شكرًا لك على مساعدتك، إلى اللقاء.

ودعها الحارس قائلًا: إلى اللقاء يا صغيرتي.

ثم انتظرها حتى عبرت الجسر وبعدها توجه إلى منزله هو الآخر.

سارت لطيفة في ذاك الطريق وأوصالها تكاد تتمزق من الخوف، الطريق هادئ ومظلل ببعض الأشجار على حافة الترعة ولكنها تهاب الوحدة وعدم معرفتها بالطريق أخافتها أكثر ولكن كان عندها أمل أن تجد أية فتيات أمامها فتتبعهم حتى البلدة ولكنها لم تجد أية واحدة على مرمى بصرها، كادت أن تبكي من شدة خوفها ولكنها تماسكت حتى انتصف بها الطريق فوقفت وهي ترتعد عندما رأت غابة

من البوص عن يمينها تنمو في الترعة وتعلو لدرجة أنها لم تعد ترى ملامح الترعة ولا الطريق المقابل فأصابها الرعب وحدثت نفسها قائلة: يا الله! ما هذا؟ أنا خائفة، البوص عال جدًا وملتف وكثيف، أخشى أن يخرج منه فأر أو ثعبان، سأهرول في هذه المنطقة حتى أعبر هذه الأحراش سريعًا.

بعد حوالي ساعتين وصل حمدان إلى المدرسة فوجدها موصدة ولا أحد أمامها ليسأله فأصابه القلق على زوجته وعاد أدراجه سريعًا نحو بيته ليطمئن أنها وصلت بيتها، وصل البيت بعد عشر دقائق فقط نظرًا لسرعته ونزل من دراجته وهو ينادي زوجته فلم يجد ردًا، توجه نحو أمه في المطبخ وسألها عن لطيفة فارتاعت أمه وقالت بجزع: أليست معك؟ ألم

تخبرني أنك ستذهب لتحضرها بعد انتهاء اليوم الدراسي؟

أجابها حمدان بقلق: نعم هذا ما اتفقنا عليه، ولكن عندما وصلت المدرسة وجدتها موصدة ويبدو أنهم أنهوا اليوم مبكرًا، أين ذهبت هذه؟ أخشى أن تكون قد ضلت الطريق.

جزعت الأم أكثر وقالت له وقد خانتها دموعها: اذهب وابحث عنها ولا تعود إلا بها، أسأل الله لها السلامة وأن يردها لنا بخير، خذ أخاك معك وابحثا عنها في كل مكان.

■ حامد.. يا حامد..

أتى حامد مهرولًا وقد أصابه القلق من نداءات أخيه المتوترة فسأله: ما بك يا أخي؟ لم تبدو شاحبًا هكذا؟

أجابه حمدان بقلق: لقد اختفت لطيفة، هيا بنا نبحث عنها.

ارتاع حامد وخرج مع أخيه مسرعين ليبحثا عن زوجته.

توجها نحو بيوت كل من يعرفا أن لهم فتيات في نفس المدرسة وسألاهن عنها فلم يعرفن عنها شيئًا ولم يرينها وأخبراهما أن اليوم الدراسي انتهى مبكرًا وعدن منذ الظهر إلى القرية.

ارتعب حمدان وكاد يبكي من فرط خوفه عليها فهدَّأه حامد وقال له: هيا نذهب إلى القرية التي بها المدرسة ونسأل عنها المدرسين والحارس ربما يعرفون عنها شيئًا.

أومأ حمدان برأسه موافقًا وركبا الدراجة وتوجها إلى البلدة المجاورة وسألا عن بيت الحارس فدلهما عليه أحد أهالي القرية فتوجها نحو بيته وناداه حامد فخرج إليهما ورحب بهما فسأله حمدان عن لطيفة ووصفها له فقال له الحارس: نعم تذكرتها، لقد كانت تنتظرك فوصفت لها الطريق إلى قريتكم لأنها كانت خائفة والمكان موحش والوقت طويل فكيف تنتظر كل هذا الوقت؟ طلبت منها أن تعود وانتظرتها حتى عبرت الجسر وذهبت من الطريق الترابي ثم ذهبتُ، ألم تعد حتى الآن؟

قال حمدان بأسى: كلا، ولا أدري أين هي.

حزن الحارس وقال: أخشى أن يكون قد عضها حيوان أو لدغتها حية فالطريق زراعي، ربما لم تلحق بأحد الفتيات، هل بحثتما عنها في هذا الطريق؟

لم يتمهل حمدان ليجيبه فقد تملكه الرعب وركب دراجته بسرعة فلحقه حامد وتوجه مسرعًا نحو الجسر وعبر الطريق الترابي وسار فيه بسرعة بطيئة نسبيًا ينظر حوله هو وأخوه في كل الاتجاهات لعلهما يجدانها حتى وصلا إلى أحراش البوص فلمحا من بعيد فردة حذاء تظهر من بين البوص فاقترب منها مسرعًا وأوقف الدراجة وهبط منها بأرجل ترتعش وأنفاس متسارعة فوجد أنها ليست فردة حذاء فقط ولكنها قدم! اقترب أكثر فوجد

لطيفة مثجاة على وجهها مواراة بين البوص فاقترب منها وقلبه ينبض بقوة وقَلَبَهَا على ظهرها ليرى وجهها، ومن هول ما رأى سقط مغشيًا عليه.

حضرت الشرطة إلى حيث أحراش البوص بعد أن أبلغهم حامد، اقتربوا من الجثة وفحصوها فوجدوا أن رأسها قد فُصل عنها تمامًا، كما أن القاتل قد شق صدرها وأخرج قلبها ومزقه لقطع صغيرة، وبفحصهم للرأس وجدوا أنه قد قطع لسانها أيضًا ومزقه لقطع صغيرة هو الآخر.

حضرت سيارة الإسعاف وحملت الجثة إلى المشرحة وأتت سيارة أخرى أخذت حمدان إلى المستشفى والذي لم يستفق بعد من هول الصدمة.

ركب حامد دراجته ولحق بأخيه إلى المستشفى في المدينة المجاورة، بعد فحص الأطباء له أخبروا حامد أن أخاه تعرض لانهيار عصبي حاد بسبب صدمة عصبية شديدة وأنه قد دخل في غيبوبة ولا يعرفون متى سيفيق منها. نقل الأطباء حمدان من الطوارئ إلى العناية المركزة وعندما استقر بها ترك حامد المستشفى وتوجه إلى مركز الشرطة ليعرف آخر أخبار جثة زوجة أخيه فأخبره الضابط أنها في المشرحة وسيقوم فريق من البحث الجنائي بالتوجه إليها لتشريحها ومعرفة ملابسات الوفاة ريثما ينتهوا من فحص مكان الجريمة.

ترك حامد المدينة وتوجه إلى قريته وهو لا يعرف كيف سينقل الخبر إلى أمه المسكينة وإلى والديّ لطيفة.

الفصل الثالث

"تقية"

في أسبوع واحد جريمتان مروعتان في قريتين متلاصقتين وصغيرتين لدرجة أنك قد تظن أنهما قرية واحدة؛ أول جريمة كانت في قرية صغيرة على البحر مباشرة وهي قرية يشتغل كل أهلها بالصيد، "قرية البحر" هذا هو اسمها؛ قرية فقيرة ليس بها إلا غني واحد فقط وهو صاحب كل مراكب الصيد والمرفأ الخاص بها والذي يقع أسفل بيته، هذا الرجل المدعو سعدون يؤجر المراكب للصيادين ويحصل على أجرته أسبوعيًا سواء اصطادوا أم لا، كما أنه يشترط أن يسلمها لهم في الصباح ويتسلمها منهم عند المغرب ولا أحد يجرؤ أن يأخذ مركبًا دون إذنه. في يوم الحادث توجهنا إلى القرية أنا وسليمان وفريق بحث جنائي متكامل ومعنا

الشرطة والإسعاف، عندما وصلنا وجدنا أن القتيل هو سعدون وقد قُتل بشكل بشع لم نسمع بمثيله من قبل، اكتشف الجريمة فتى في الخامسة عشر من عمره يُدعى عمير حيث أمره جده عمران بمناداة القتيل ليأخذوا المراكب وعندما لم يُجبه توجه حيث المرفأ فوجد القتيل مثجى على وجهه هناك وقد مزق القاتل جلد ولحم وجهه، ظن الحاضرون أن تمزق وجهه هو ما قتله فلا آثار لجراح في باقي جسده ولكن ما أظهره فحصنا له كان عجيبًا!

تم نقل الجثة إلى المشرحة وفحصنا مكان الجريمة جيدًا فلم نجد أي أثر لسلاح أو آلة حادة أو حتى دماء، أخذنا نبحث لساعات لعلنا نجد أي آثار لأقدام أو بصمات أو حتى حمض نووي يدلنا على القاتل ولكن دون جدوى.

أنهينا الفحص الجنائي لمسرح الجريمة ثم توجهنا إلى المشرحة لنفحص الجثة وكلنا حماس لنعرف ما حدث لها، دلفنا إلى المشرحة وأخرجنا الجثة من الثلاجة ووضعناها على سرير التشريح وبدأنا الفحص فوجدنا العجب العجاب!

بدأنا من الوجه فوجدناه قد تم نزع جلده وأجزاء من لحمه بطريقة عشوائية لكن يبدو أنها كانت مؤلمة، أخذنا عينات من الوجه وحللناها فاكتشفنا أنه قد تم سكب حمض مركز على الوجه مما أدى لإذابة جلده وأنسجته وفي نفس الوقت حَرق أعصاب الوجه وأيضًا شراينه مما كان سببًا وراء عدم وجود آثار دماء على الوجه، ولكن إن كان ذاك الحمض قد أحرق الوجه وأدى إلى تآكله لدرجة أنه قد كوى الشرايين ولم تنزف فلماذا لحم الوجه لونه أحمر وليس بني أو أسود ولا تظهر عليه

آثار الحروق رغم أن رائحة اللحم تشبه رائحة اللحم المشوي وأيضًا الأنسجة تبدو ناضجة كأنها قد تم طهيها حتى استوت؟! الغريب أيضًا أننا لا نستطيع التعرف على نوع الحمض هذا ولا تركيبه الكيميائي كأنه مركب لم يتواجد من قبل قط! ولكن هل هذا الحمض وحده كفيل بقتل الرجل؟ توجهنا بعد ذلك لفحص الحلق فوجدناه قد انتفخ! لم يكن هكذا وقت فحصنا الجثة أول مرة في مسرح الجريمة ولا عندما أخرجناها من الثلاجة! كيف انتفخ بهذه السرعة وما السبب؟ أخذ الطبيب المشرط وبدأ بفتح فتحة صغيرة في عنق الجثة وما إن قطع المشرط الجلد حتى انفجر وخرج منه سائل أصفر مائل للحمرة فابتعدنا عن الجثة قليلًا حتى لا نتأذى وبعد لحظات اقتربتُ لآخذ عينة من السائل ولكن ما هذا؟ لقد ذاب المحقن بمجرد أن أدخلته في السائل! جربت مرة أخرى بمحقن معدني فذاب هو الآخر! يبدو أن هذا السائل

حمض قوي، فيا ترى هل هو نفسه الذي أحرق الوجه؟! حاولت أن أقترب منها مجددًا لعلي أستطيع أن أحظى بعينة ولو صغيرة ولكن أمسك سليمان بيدي وجذبني بعيدًا عنها وقال لنا جميعًا: ابتعدوا بعض الوقت عن هذه الجثة؛ فيبدو أن الحمض في ذروة نشاطه ولا ندري ما هو ولا ما تأثيره وأخشى أن يصاب أحدنا بسوء، هيا بنا نخرج لبضع دقائق نهدئ فيها أعصابنا ونتناقش في الأمر ريثما يهدأ الحمض و....

لم يكمل كلماته فقد سمعنا صراخ عامل المشرحة فنظرنا للخلف فإذ بنا نرى عجبًا! لقد كان الحمض يأكل الجثة أكلًا ويذيبها تدريجيًا حتى أن العظام أذابها! هل ما أراه أمامي هذا واقعيًا أم هو ضِرب من الخيال؟! لم أكد أدرك ما حدث فقد جذبني سليمان بقوة للخارج وهو يصرخ في العامل وباقي الطاقم أن يخرجوا

بسرعة من هذا المكان، خرجنا جميعنا وأوصد العامل الباب خلفه فجلسنا على الأرض خارج المشرحة من الصدمة محاولين التنفس وإن كان الأمر شاقًا، لم ننطق لدقائق مرت ولا ندري كم هي حتى نطق أحد الأطباء واسمه نعمان فقال وهو ما زال يلهث من التوتر: هل ما رأيناه بالداخل حدث فعلًا أم أنني أتخيل؟

أجابه الطبيب الذي فتح العنق بمشرطه ويدعى مسعد: للأسف صحيح، لكن ما يحيرني أن العنق ظل لفترة طويلة عاديًا وفجأة انتفخ وحدث كل ما حدث فور أن فتحته! أين كانت مخبأة كل هذه الكمية من السائل؟!

صاح العامل وعلامات الرعب تبدو جلية على جسده: إن هذه الجثة غير طبيعية، يبدو أنها

مسحورة أو أن الجن هم من قتل الرجل، ربما كان ساحرًا أو هو جنيٌّ بالأساس وليس بشريًا.

نظرنا له جميعًا ببلاهة غير مصدقين ما قاله فقلت له: لا تقل هذا يا عم رابح، أي جن وأي سحر؟ إنها جثة عادية لكن يبدو أن القاتل وضع في فم القتيل حمضًا مركزًا لا نعرف مما يتكون، لقد رأيت بنفسك قوته وكيف أذاب الأدوات والجثة كذلك.

ولكن العامل قال وهو يرتجف وتصطك أسنانه ببعضها رعبًا: وهذا دليل قوي على أن هذا الرجل جنيٌّ، الجن مخلوق من نار فإذا مات انصهر كالمعادن.

ضحكت وقلت له: يا عم رابح، لقد رأيت بنفسك لحم الجسد، هل الجن المخلوقة من نار

يوجد لحم بأجسادها؟ الأمر ليس خوارقي يا عماه بل هو جريمة قتل بشعة وربما كانت ثأرًا أو انتقامًا لأمر ما، لكن ما يثير دهشتي حقًا هو كيف أذاب الحمض الوجه فور لمسه ولم يُذِب الحلق فور بلعه؟!

قال سليمان وهو يضيق عينيه وينظر في الفراغ نظرات أعرفها جيدًا وأهابها: لا يزال عالم الكيمياء يبهرنا كل يوم بما يحتويه من مركبات مبهمة لا ندري عنها شيئًا، إن أمر هذه الجثة يذكرني بنبتة الهومكا وتأثيرها، أعتقد أن الأمر شبيه بها!

سألته ببلاهة فأنا الوحيدة التي تعرف عما يتحدث ولكني لم أفهم: ماذا تقصد؟ ما علاقة هذا بذاك؟ فالتأثير مختلف وقد قضينا عليها فمن المستحيل أن يكون القاتل قد استخدمها.

ضحك سليمان ضحكة جانبية أعرف منها أنه يسخر من غبائي ولكن لم يُرد أن يسخر علانية أمام الطاقم، -كم هو طيب زوجي هذا!- ثم قال: لن تفهمي قصدي الآن، الأمر أكبر بكثير من تصورك، سأتلصص على الجثة وأنظر ماذا حل بها.

نهض سليمان وتوجه ببط نحو باب المشرحة وفتحه ببطء وما إن نظر بداخلها حتى صاح: يا الله!

نهضت مسرعة فتبعني باقي الطاقم ونظرنا في الغرفة التي ما إن رآها العم رابح حتى هرب من المكان وهو ينتفض صارخًا ينادي: جني، لقد أخبرتكم أنه جني، سيقتلنا!

لم نكترث لتراهاته وخطونا داخل الغرفة بحذر نتأمل الأرضية التي امتلأت بأشلاء الجثة المتبقية التي انفجرت من أثر الحمض
فأحضرت الأدوات وحاولت أخذ عينة بحرص من تلك الأشلاء وأنا أرجو ألا تذوب الأدوات مجددًا، نجحت في الحصول على عينة فهرولت لفحصها فصُدمت مما رأيت! فناديت سليمان فأتى مسرعًا ونظر هو الآخر للعينة وعلامات الدهشة ترتسم على وجهه ثم قال: يبدو أننا لسنا أمام قاتل سادي محترف وحسب، بل يبدو أنه ربما يكون طبيبًا كذلك!

الفصل الرابع

"سليمان"

كنت أظن أن طريقة قتل سعدون هي أبشع جريمة رأيتها في حياتي حتى رأيت جثة تلك الفتاة؛ لطيفة. فتاة في السابعة عشر من عمرها لم تعرف شيئًا عن بشاعة هذا العالم، خرجت من بيت أبيها لبيت زوجها دون أن تعرف أن الكون يتكون من شيء إلا البيت والمدرسة، فتاة ما زالت عودًا غضًا طريًا، فماذا فعلت هذه لتجني ثمار حياتها بهذه النهاية البشعة؟!

عندما وصلنا إلى مسرح الجريمة -والذي كان منطقة خالية من البشر عبارة عن طريق ترابي يمر بجوار أراض زراعية وعن يمينه ترعة بها أحراش من البوص تكاد تلتهم الطريق كما

التهمت الترعة- وجدنا جثة لفتاة ضعيفة هزيلة ترتدي زيها المدرسي والذي لطخته دماؤها التي لم تلوثها الأحقاد بعد وقد فُصل رأسها عن جسدها بطريقة عشوائية مما يعني أن القاتل قد اجتز رأسها وهي على قيد الحياة وليس بعد موتها وقد قطع لسانها إلى قطع صغيرة ووضعه مجددًا في مخدعه تجويف فمها وأغلقه عليه، وجدنا أيضًا أن قفصها الصدري مفتوح حتى منتصفه وقد انتزع القاتل قلبها هو الآخر وقطعه لقطع صغيرة كمن يقطع البصل ثم وضعه بداخل تجويفه مرة أخرى وأغلق الصدر دون تخييطه ثم وضعها على وجهها بين الأحراش على جانب الطريق ووضع رأسها في مكانه فيظن الرائي لها أنها نائمة؛ كان هذا وصف حامد الأخ الأصغر لحمدان زوج الضحية لجثة أخيه كما رآها هو وأخوه عندما توصلوا لمكانها، حملت الإسعاف جثة الفتاة وحملت إسعاف أخرى زوجها لتنقله إلى

المستشفى بعد أن أصيب بالإغماء فور رؤية ما آلت إليه زوجته، بعد نقل الجثة إلى المشرحة بدأنا أنا وزوجتي وباقي طاقم الفحص الجنائي بمعاينة مكان الحادث في محاولة غير مجدية لنجد أي أثر يدل على القاتل ولكن كما هو الحال في الجريمة السابقة لم نعثر على أي أثر أو دليل يدل على القاتل، أيعقل أن القاتل واحد في الجريمتين أم أن القتلة أصبح لديهم وعي وذكاء خارق هذه الأيام؟! يبدو أننا أمام جرائم لا حل لها!

بعد يأسنا من العثور على أي أثر يدلنا على القاتل توجهنا إلى المشرحة والتي كانت هي نفسها المشرحة التي فحصنا فيها جثة سعدون، أخرجنا جثة الفتاة من الثلاجة وبدأنا بفحص الرأس عند منطقة فصله عن العنق وأثبت الفحص أن القاتل قد حز الرأس من الأمام مما يدل على أنه باغت الضحية من

الخلف ونظرًا لمقاومتها له فقد كان القطع عشوائيًا وليس متساوي الأجزاء فكان هذا إثباتًا واضحًا على أن الموت أتى نتيجة فصل الرأس ولم يتم الفصل بعد الموت.

كان فصل الرأس وموت الفتاة أمرًا عاديًا لقاتل أتى من خلف الضحية وليس معه سلاح يقتلها به إلا خنجر أو سكين وربما فصل الرأس مباشرة ليتأكد من قتلها بدلًا من طعنها فربما تنجو من الموت، ولكن المعضلة الكبرى هي لماذا شق عن صدرها وفعل بقلبها ما فعل طالما تأكد من موتها؟! لو افترضنا أنه طعنها في الصدر أولًا ثم جز عنقها ليتأكد من موتها لكان القطع متساويًا دون تعرجات، ولكن مهلًا ما هذا؟! إن العنق والرأس محترقين واندملت الشرايين ورائحة اللحم محترقة كما كان وجه سعدون مما يعني أن القاتل واحد إذًا وأنه قد وضع نفس الحمض على أداة القتل! ولكن لِمَ

لَمْ يُذِب الحمض الأداة كما أذاب أدواتنا؟ فلو أذابها لما أكملت فصل الرأس! معنى ذلك أن الدماء التي أغرقت جسد الفتاة من الأمام أتت من جوفها لأنني لاحظت أن موضع شق الصدر يشبه ما حدث للرأس، هكذا إذًا، عرفت الآن لمَ لمْ نجد آثار دماء على ظهرها! بينما أنا أفكر إذ اندفعت زوجتي الحمقاء كعادتها وفتحت القفص الصدري للفتاة تبحث فيه عن أي أثر للحمض ولكن ما إن فتحته حتى وجدته امتلأ بنفس السائل الأصفر المحمر فهرولت إليها وأبعدتها بقوة عن الجثة والتي لا شك ستنفجر الآن، بالفعل انفجرت الجثة وانبطحنا جميعًا على الأرض التي امتلأت هي وأجسادنا بشظايا الجثة التي كانت منذ ساعات لفتاة صغيرة تحلم بالحياة ومستقبل باهر مع زوجها! نهضنا مسرعين ننفض تلك الشظايا عن أجسادنا خوفًا من أن ينال الحمض منا ويذيبنا نحن أيضًا، من الجيد أن العم رابح عندما رآنا هرب قبل فحص

الجثة وإلا لو رأى ما حدث للمرة الثانية فلربما مات من فوره أو صدق أن القصة وراءها جان. جان! من يصدق هذا؟! لو افترضنا أن سعدون ساحر وقتلته الجن أو هو جني من الأساس فهل لطيفة هي الأخرى ساحرة أو جنية؟ كيف هذا وقد رأينا دماءها بأعيننا؟ فهل للجن دماء؟ ويحك يا سليمان أصبحت تفكر كالعم رابح! يبدو أن عقلي يحاول أن يشغلني بأي تفسير غير منطقي ليبرر فشله في العثور على التفسير الحقيقي لما حدث.

أيقظتني من متاهات أفكاري نداءات تقية تخبرني أنه يجب أن نخرج فقد انتهوا من تنظيف آثار انفجار الجثة وأننا يجب أن نكتب التقرير ونرفعه إلى رئيس المباحث، ذهبت معهم خارج المشرحة وجلسنا في غرفة استراحة طبيب المشرحة، كتبنا التقرير وأرسلناه لرئيس المباحث ثم جلسنا نتبادل

الآراء والتفسيرات والتي كانت جميعها غير منطقية بالنسبة لي؛ فمنهم من قال أن ما حدث في الجثتين محض صدفة وكل جثة لها قاتل، ومنهم من قال أن القاتل واحد ولكنه استخدم السحر لقتل ضحاياه أو ربما استعان بالجن طالما أن تلك المادة لم يسبق لها وجود في عالم الكيمياء، ولكن التفسير الأغرب خرج من فم زوجتي العجيبة التي كانت صامتة طيلة الوقت تحدق في الفراغ تفكر، وأنا الذي كنت أظنها مصدومة مما رأته! فقالت: أشعر أن منفذ الجريمتين شخص واحد ولديه علم واسع بالكيمياء وربما ركب هذه المادة بنفسه، كما يبدو أنه شخص سادي يستلذ بتعذيب ضحاياه، وبما أنه لا رابط يربط بين القتيلين فالقاتل إذًا هو أيضًا لا يعرفهما مما يعني أنه قاتل متسلسل وليس قاتل عشوائي بدليل دقته، واستخدامه للحمض يدل على أنه قد رتب لهذه الجرائم جيدًا ولم تأت مصادفة ولربما قد دبر

لها منذ مدة وربما منذ أشهر أو سنوات، الغريب أن أي قاتل متسلسل يقتل كل ضحاياه بنفس الطريقة ولكن هذا القاتل يقتل بنفس الأداة ولكن الطريقة مختلفة ولا أعلم ما السر وراء ذلك، ربما يحب التنوع ولكن ما يحيرني أكثر أن الأداة التي قتل بها الفتاة لم يذِبها الحمض! ليتني أعرف ما نوعها...

أهذا كل ما يهمها؟! يا لها من حمقاء! ولكن لا أنكر ذكاءها فتفسيرها منطقي للغاية، لحظة! ماذا قالت؟ قاتل متسلسل! نهضت من مجلسي مسرعًا واتجهت نحو الباب ولم أُعر نداءات واندهاش تقية أي انتباه.

وصلت إلى مركز الشرطة وطلبت الدخول على رئيس المباحث فأذن لي فدخلت وقبل أن ألقي

السلام قلت له: هناك جريمة أخرى وربما جرائم ستحدث قريبًا، هذا القاتل لن يتوقف!!

الفصل الخامس

"راشد"

كنت أجلس في مكتبي القابع في الطابق الثاني في مركز شرطة النديم التابع لمحافظة الغربية وقد انتقلت إليه منذ حوالي شهرين بدلًا عن رئيس المباحث السابق "عادل ناجي"، كنت قد انتهيت لتوي من استجواب شهود العيان في حادثة مقتل الفتاة "لطيفة" والذين رأوها لآخر مرة قبل مقتلها، واستجوبت أيضًا أول من شاهد جثتها؛ حامد أخو زوجها. بعد استجواب الجميع أمرت كاتبي بالخروج وتَركي وحدي لأفكر، وضعت أمامي على مكتبي ملف قضية سعدون وملف قضية لطيفة، قرأتهما بتمعن وحار عقلي في استنباط تفسير لما حدث، وصلني تقريريّ الطب الشرعي للجريمتين فحار عقلي أكثر؛ الجريمتين متشابهتين إلى حد

بعيد! والغريب أن كل قتيل من قرية وليسا من نفس القرية، ولكنهما قريتين متجاورتين يتبعان نفس المركز التابع له مركز الشرطة الذي أعمل به، فهل يعقل أن يكون القاتل شخص واحد أم أنها محض صدفة؟!

بينما أنا غارق في غياهب تفكيري إذ بالعسكري يدخل ليخبرني أن أحد الأشخاص يقول أنه من فريق البحث الجنائي يود مقابلتي فأذنت له سريعًا فلربما لديه معلومة تخرج عقلي من متاهات التفكير. ما إن خرج العسكري حتى دخل شاب يبدو أنه في بداية الثلاثينات من عمره ولكن تظهر جلية على ملامحه علامات الذعر فقال مباشرة دون أي تحية أو مقدمات: هناك جريمة أخرى وربما جرائم ستحدث قريبًا، هذا القاتل لن يتوقف!!

نهضت بلهفة من كرسيّي واقفًا وقد لجمت الصدمة لساني للحظات ثم سألته: ماذا تعني؟ وكيف عرفت؟

أخبرني بكل ما حدث معهم في تشريح الجثتين وبآراء فريقه، وأنا أيضًا أميل للاقتناع باستنتاج زوجته، ولكن هل يا ترى القاتل من إحدى القريتين أم هو من منطقة مختلفة؟ وهل هو مقرب من القتيلين أم لا يعرفهما؟

أخبرته بأسئلتي فأبهرني بجوابه الذي يعكس ذكاءه الفذ: أعتقد أن القاتل من قرية منهما أو قرية قريبة، والقرى هنا متلاصقة وكل أهلها يعرفون بعضهم البعض عن قرب أو معرفة سطحية لكن لا أحد غريب، هنا الكل يعرف كل شيء عن البقية أو حتى مجرد معرفة الاسم ومعلومات بسيطة فهي كافية ليعرفه جيدًا،

الأرياف مجتمع واحد خاصة لو كانت القرى صغيرة فأغلبهم في الأصل أقارب، ربما القاتل واحد منهم، ربما آذاه أحد القتيلين فقتل الآخر تمويهًا أو ربما هو يقتل للذة القتل نفسها ولربما كان لديه سبب وراء ذلك، لكن ما أنا مقتنع به من خلال أسلوبه في القتل أنه يستلذ بالقتل، هذا الشخص دقيق ومنظم بشدة وعاشق للتنظيف بدليل أنه لم يترك أي أثر يدل عليه فيبدو أنه معتاد على تنظيف أي شيء يخلفه وبشكل مبالغ فيه، وأيضًا من هم مثله يكرهون رؤية الدماء على الأرض لذا لجأ لاختراع تلك المادة حتى لا تخلف جرائمه نقطة دماء، أنا مقتنع أنه طبيب أو على الأقل هو كيميائي، ولكن إلى أي مدى وصل علمه؟ كثرة العلم تصبح مخيفة أحيانًا إذا اقتنع الشخص أنه عبقري فذ ولم ينسب علمه لله فيبدأ باستخدامه في طرق غير مشروعة تصل للقتل في أغلب الأحيان وذلك لأن كثرة علمه قد تصل به للبعد

عن الله وربما الكفر والجحود بل إنها وصلت ببعض العلماء لتحدي الله أو تأليه أنفسهم.

صمت قليلًا ثم تابع: لو كان يقتل للذة القتل فلن يتوقف وسيقتل المزيد والمزيد، وإن كان يقتل لسبب ما فأعتقد أنه طالما وصل لهذه المرحلة فأسبابه كثيرة ولم تنتهِ بعد، وإن كان يقتل لتجربة هذا المركب الذي اخترعه فأخشى أن نجاح تجربته سيجعله يفرح بما أنجزه ويكرر التجربة، الخوف الأعظم أن تكون لديه تجارب أخرى يريد التأكد من نجاحها.

اعتراني الخوف وسألته: أتعني أنه يبتكر مركبات كيميائية قاتلة ولكي يتأكد من نجاحها يجربها على البشر لا الحيوانات؟

أجابني: نعم، ولو كان اعتقادي صحيحًا فسوف تكثر جرائم القتل الفترة القادمة....

قاطعت حديثه قائلًا: إذًا الأمر بسيط.

نظر لي بدهشة وسألني: كيف يكون بسيطًا وقد أخبرتك أنه لن يتوقف عن القتل؟!

أخبرته بحماس شديد: ألم تقل أنه ربما يكون طبيبًا أو كيميائيًا، إذًا نُحضر إلى هنا كل طبيب وكيميائي للاستجواب وتكون أنت موجودًا خلال الاستجواب فقد تكتشف شيئًا لا ألاحظه أنا.

نظر لي ببلاهة وقال: أبهذه البساطة يا حضرة الضابط؟! أنسيت أنه لكي تستخرج أمر ضبط وإحضار لكل هؤلاء لا بد من إذن النيابة؟ وماذا ستخبر النيابة؟ أستقول أنك تشك أن القاتل كيميائي أو طبيب لذلك ستستجوب كل

طبيب وكل كيميائي في المركز كله أو في القريتين؟

تعجبت من ذكائه للمرة الثانية وقلت: معك حق، لقد اندفعت ولم أفكر، وحتى أن عاقبة هذا الأمر ليست محمودة؛ فسينتشر الخبر وسيصاب أهل المركز جميعهم بالذعر ولن نستطيع السيطرة على الموقف، ولكن يجب أن نعرف القاتل ونوقف سيل الجثث قبل أن يجتاح الجميع، فماذا سنفعل لنعرفه؟ هذا هو الحل الوحيد الذي ارتأيته.

زوى سليمان ما بين حاجبيه وحدق في الفراغ لوهلة ثم قال وهو ما زال على نفس الوضعية: لدي حل قد يكون شاقًا وليس بالسهل لكنه سيفي بالغرض.

سألته بلهفة: ما هو؟ أخبرني أرجوك، لا أطيق انتظارًا.

قال بهدوء ممل: الحل هو....

في اليوم التالي توجهت أنا وسليمان إلى قرية البحر تنفيذًا لخطة سليمان فقابلنا أحد الصيادين والذي لم أره من قبل وهذا ما قصدته حتى لا يتعرف علينا فسألناه عن الجريمة فأخبرنا أنه كان مريضًا قبل حدوثها بيومين وعرف عنها من الصيادين في اليوم التالي، فسألناه عن إن كان في البلدة أي طبيب أو كيميائي فقال: إننا بلدة فقيرة، كلنا صغارنا وكبارنا نعمل بالصيد، لا قدرة لدينا لتعليم أبنائنا، فقط نعلمهم الصيد من صغرهم.

سأله سليمان: ليس بالضرورة متعلمًا، ربما هناك شاب في القرية مهتم بعلم الكيمياء وقد سمع عنه في الهاتف أو التلفاز فتجدونه يتكلم كثيرًا عن علم الكيمياء أو هناك شخص غامض لا يتحدث مع أحد.

فقال الصياد: لا يا سيدي، جميعنا نذهب للصيد من الفجر حتى المغرب ولا نملك هواتف ذكية، نادرًا ما تجد أحدنا يحمل هاتفًا صغيرًا، ولا يوجد تلفاز في البيوت فنحن ننام بعد صلاة العشاء فماذا سنفعل بالتلفاز؟

شكرنا الرجل ثم ودعناه وغادرنا القرية متوجهين نحو قرية الدهمون وسألنا أحد سكانها فكان الوضع كما هو في القرية السابقة؛ لا طبيب ولا كيميائي ولا شخص غامض ولا شخص مهتم بالكيمياء، توجهنا

للقرية التي بها مدرسة لطيفة فوجدنا الأمر نفسه فشعرت بالضجر وقلت لسليمان: ما هذا؟ كل القرى ليس فيها شخص كما نرغب! ماذا إذًا؟ أين القاتل ومن يكون؟

صمت سليمان للحظات ثم قال: ربما مواصفاته ليست كما ظننا، يبدو أنه شخص بعيد كل البعد عن الشك، لقد أصبحت مهمتنا أصعب!

قطعت حديثنا رنة هاتفي فأجبت على الاتصال وبعد أن أنهيته قلت لسليمان بصدمة: هناك جريمة أخرى أبشع من سابقتيها حدثت منذ قليل ويجب أن نتوجه إلى مسرح الجريمة الآن.

قال سليمان بغموض: إن القاتل يطور نفسه ويتحرك بسرعة، الغريب أن أي قاتل متسلسل

إذا علمت الشرطة بجرائمه يتوقف فترة حتى تُغلق القضايا كي لا تظن الشرطة أن القاتل واحد وأن الجرائم متسلسلة، ولكن هذا القاتل لم يوقفه شيء! يبدو أنه لا يخشى شيئًا، ترى متى ستكون الجريمة القادمة؟

الفصل السادس

"أم البلايا"

• السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قالها أبو محمد وهو يلقي التحية على خمسة رجال من أهل بلدته ليوقفهم عن المسير.

توقفوا عن السير وهم يردون عليه التحية جميعهم قائلين: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

سألهم مستفهمًا: أعلمتم بما حدث لأم البلايا؟

أجابوه جميعهم في آن واحد: لا، ما الذي أصابها؟

أجابهم وهو ينتشي انتصارًا: لقد اكتشفوا جثتها الآن، وقد قُتلت بطريقة بشعة شفت غليلي فيها.

تحدث أحدهم مستهجنًا: ما هذا يا أخي؟ لا شماتة في الموت.

فقال أبو محمد: أنا لا أشمت بها بل أستشعر عدل الله فيما جرى لها؛ فهي لم تترك بشرًا ولا حجرًا إلا واغتابته وأوقعت بينه وبين الناس أو آذته بلسانها السليط ودعواتها البشعة.

قال واحد آخر موافقًا له: معك حق يا أبا محمد؛ وأيضًا كانت تقوم بعمل الأسحار لتفرق بين الأزواج أو تتسبب في إصابة الناس بالأمراض، أعتقد أنها سحرت لكل صغير

وكبير في القرية ولربما سحرت للحيوانات أيضًا.

وقال ثالث: نعم، كم كانت امرأة بغيضة تكره الناس وتكره لهم الخير! يبدو أنها كانت تشعر بلذة عندما ترى كل من حولها يعاني بأي طريقة كانت.

هربت دمعة من عين أبي محمد وهو يقول بقلب يحترق ألمًا: لا رحمها الله ولا غفر لها؛ كم عانيت أنا وأولادي بسببها، ولن أنسى أنها كانت سببًا في مرض زوجتي الذي قتلها.

قال رابع الرجال مواسيًا إياه: نعم، لك حق يا أبا محمد في قول ذلك؛ فنحن نعلم كم عانيت جراء أفعالها لكونك جارها اللصيق بدارها.

تساءل خامسهم: ولكن كيف قُتلت؟ ومتى؟

أجابه أبو محمد شارحًا لهم ما حدث: لقد استيقظت على أصوات صراخ جارتنا أم أحمد فاكتشفنا أنها وجدتها مقتولة وملقاة في الطريق أمام بيتها، العجيب هو كيف قُتلت! ولكنها نهاية مناسبة لحياتها تلك التي يوم اختارت أن تعيشها بتلك الطريقة كتبت لنفسها هكذا نهاية لتكون عبرة لأشباهها.

نقلت الشرطة الجثة إلى المشرحة، وفي مركز الشرطة بدأ رئيس المباحث باستجواب الشهود وأهمهم "أم أحمد" فهي أول من اكتشف الجريمة، كان سليمان يجلس أمام رئيس المباحث منتظرين دخول الشاهدة ليسمعا منها

ما تعرفه بعد أن فحصوا مسرح الجريمة وكالعادة لم يجدوا أي دليل.

دخلت الشاهدة مرتبكة خائفة فطمأنها الضابط راشد قائلًا: اهدأي يا أم أحمد، أنت شاهدة لا متهمة، تفضلي بالجلوس وأخبرينا كيف اكتشفتِ الجريمة؟

جلست أم أحمد على الكرسي الآخر أمام رئيس المباحث وبدأت بالتحدث بارتباك: أنا أستيقظ في الفجر فأصلي ثم أطعم البهائم والطيور وأنظف مكانهم ثم أخرج متوجهة للبقال فأبيع الحليب وأشتري الفول والطعمية ثم أعود لبيتي فلا أخرج بعدها إلا في وقت المغرب لأبيع الحليب، طريق ذهابي وإيابي هو من أمام بيت القتيلة والتي أمر من أمام بيتها وأنا أشعر بالرعب خشية أن تراني.

قاطعها سليمان متسائلًا: لِمَ تخشينها إلى هذا الحد؟ ولماذا رأيت في وجوه أهل البلدة الفرح بموتها بدلًا من الشفقة لما حدث لها؟!

أجابته أم أحمد: لأنها كانت أشر خلق الله؛ لقد غلبت إبليس في شره وخبثه، كانت تقوم بعمل السحر لكل أهل القرية وتلقيه أمام البيوت أو في الطرقات أو تدفنه في المقابر، كان الكل يخشاها ولا يستطيع أحد أن يثنيها عما تفعل فقد كانت سليطة اللسان وقوية، الجميع طالهم أذاها فكنا نخشى المزيد من الأذى، كما أنها كانت حقودة ومن شدة ما تحمل في قلبها من ضغينة للجميع فقد كانت عينها قوية تصيبك بأشد أنواع الحسد بمجرد النظر إليك فحسب فما بالك لو نطقت؟!

سألها راشد: ما اسم هذه المرأة؟ وكم كان عمرها؟ وأين أهلها؟

أجابته أم أحمد: كان اسمها نعمة ولكنها لم تكن اسمًا على مسمى؛ فقد كانت شر نقمة ابتلانا الله بها لذا أطلقنا عليها فيما بيننا لقب "أم البلايا"، لم تكن كبيرة في السن، لا أحد يعرف عمرها لكنها ربما تكون قد جاوزت الستين عامًا، لا أهل لها؛ لقد قضت عليهم بسحرها وورثتهم جميعهم.

سألها راشد: كيف اكتشفتِ الجريمة؟

أجابت المرأة: بيتي ملاصق لبيتها يقع قبله مباشرة لذا يجب أن أمر من أمام بيتها كلما أردت أن أدخل البلدة؛ فبيوتنا تقع في مدخل البلدة لذا يمر عليها الجميع في الذهاب

والإياب، الجميع يستيقظ فجرًا لكن لا أحد يخرج من البلدة قبل السابعة صباحًا لذا من الطبيعي أن أكون أول من يكتشفها، عندما خرجت من بيتي كانت الشمس لم تشرق بعد ولكن النهار كان قد أنار الدنيا، فلما اقتربت من بيتها وجدت القطط والكلاب مجتمعين حول لحم على الأرض وعندما اقتربت منهم وجدت رأسها ملقاة وباقي جسدها ممزق إلى قطع صغيرة ومنتشر في الطريق كما كانت ترش الأسحار، التقطت حجرًا وألقيته باتجاههم فهربوا فصرخت أنادي الجيران فأتى جارنا أبو محمد الذي هاتفكم ثم اجتمع باقي أهل البلدة ثم الشرطة.

سألها الضابط: تقولين أن بيتك ملاصق لبيتها، هل سمعتِ صراخًا أو حركة غير معتادة عندها الليلة؟

أجابت المرأة: لا، لم أسمع أية أصوات، الليلة كانت هادئة ككل ليلة، كما أنني رأيتها بالأمس عندما كنت ذاهبة وقت المغرب لبيع الحليب وكانت بشعة وقوية كالمعتاد.

سألها سليمان: هل تعتقدين أن شخصًا معينًا من القرية قد يكون هو من فعلها؟ شخص يبغضها بشدة.

أجابت أم أحمد: لو افترضنا ذلك فسنتهم كل البلدة؛ فالجميع يكرهها ويتمنى الخلاص منها.

قال الضابط راشد: حسنًا يا أم أحمد، وقعي على أقوالك ثم اذهبي.

وقعت المرأة ثم ذهبت واستجوب راشد وسليمان بقية الشهود والذين أجمعوا على كرههم لها وكم كانت سيئة الخلق. انتهت التحقيقات فأمر راشد كاتبه بالخروج ثم قام من مجلسه وقال لسليمان: هيا بنا إلى المشرحة، اليوم سأحضر معكم التشريح.

وصل راشد وسليمان إلى المشرحة ورحبا بالفريق ثم دخلوا جميعهم إلى غرفة التشريح وبدأوا الفحص الذي استغرق ساعتين فقط ثم وضعوا الأشلاء في الثلاجة وذهبوا لغرفة الطبيب ليتناقشوا فيما توصلوا إليه حتى الآن.

سألهم راشد: ما نتيجة فحصكم لبيت الضحية وللطريق الذي وجدنا عليه الجثة؟

رد عليه الخبير الجنائي "داوود": لقد فحصنا البيت كاملًا وكنا نتوقع أن القاتل قتلها في منزلها ثم نثر أشلاءها في الطريق لأنه لا أثر لدماء على الطريق عدا دماء بسيطة نزفتها الأشلاء، لكن ما وجدناه كان غريبًا! البيت مرتب ترتيبًا مبالغًا فيه فأعتقد أن القاتل قتلها في منزلها بالفعل ثم كعادته نظف مكانه ورتب المنزل ثم نثر جثتها في الطريق واختفى.

قالت تقية: ينبغي أن نسميه القاتل الشبح؛ فهو كالشبح بالفعل لا أثر له ولا دليل عليه! إلى متى سنظل لا نعرفه؟

سألها راشد: ما نتيجة فحص الجثة؟

أجابته تقية: هذه المرة لم يستخدم الحمض، يبدو أنه يبغضها بشدة فأراد أن يعذبها ويستلذ بآلامها وهي حية.

تعجب راشد وسألها: ماذا تعنين؟ أتقصدين أنه مزقها وهي على قيد الحياة وليس بعد وفاتها؟

ضيقت تقية عينيها وعدلت من وضع نظارتها ثم قالت: هذا ما حدث بالفعل؛ لقد قطعها أمام عينيها وهي تشعر بكل ما يفعل، لم تقتلها آلامها والنزيف بل قتلها تمزيقه لقلبها ثم رأسها بعد أن مزق أغلب جسدها وهي تشاهد.

سألها راشد: وكيف لم تصرخ؟ حتى لو كتم فمها بشريط لاصق فمن المحتمل عندها أن يسمع الجيران أناتها.

قالت تقية بثقة: لقد صرخت بالفعل.

تعجب راشد أكثر وسألها: كيف ذلك؟ لم يسمع الجيران أي صوت.

قالت تقية: لم يسمعوها لأن القاتل قد انتزع لسانها في البداية قبل أن يبدأ في تمزيق جسدها ونزع حنجرتها أيضًا!

الفصل السابع

"القاتل الشبح"

يطلقون عليّ القاتل الشبح؛ كذلك كتبوا في الصحف ولهم الحق في ذلك، فأنا كالشبح لا أثر لي، ولكنني أحب أن أُطلق على نفسي لقب يُعبر عمَّا أقوم به وهو لقب "سفير التطهير"! لقب غريب، مبهم، قد لا يفهمه الناس من حولي، ولكنه ليس مجرد لقب؛ هو مهمتي في هذه الحياة، أنا بالنسبة لهم مجرد مجرم سفاح أو بمعنى ألطف "قاتل متسلسل"، مساكين لا يدركون قيمة ما أقوم به من أجل سعادتهم وراحتهم، نعم راحتهم؛ أنا أبذل جهدًا عظيمًا لأُخلصهم ممن يُكدرون صفو حياتهم، ليست تراهات أو خيالات أوهمني بها عقلي بل هي قناعاتي ومهمتي في الحياة التي وضعت على عاتقي مهمة تنفيذها ووهبت حياتي لذلك، قد

يتساءل البعض بل الجميع عن أي تطهير أتحدث، والأمر ببساطة هو أنني أطهر العالم من المفسدين في الأرض بطريقة ارتضاها عقلي وقناعاتي الشخصية وارتاح لها قلبي وأستمتع بها أيضًا.

حتى هذه اللحظة قتلت ثلاثة فقط ولن أتوقف ما حييت، كل قتيل منهم من قرية لكنها قرى متلاصقة، لست من أي قرية من هؤلاء ولا أي قرية متجاورة ولكني أعرفهم جميعهم وأعرف كل أهلها وبالتأكيد أعرف من منهم يستحق القتل، لو بحثنا في نفوس البشر جميعًا لوجدنا أن معظمهم يستحق القتل؛ فلنقل أن واحد بالمائة فقط من نسبة سكان هذا العالم يحملون قلبًا نقيًا وهم فقط من يستحقون الحياة والتناسل ليتغير مصير هذا العالم ويمتلئ بالحب والقلوب النقية التي تتمنى الخير لغيرها، بالتأكيد لن أقتل نسبة ال٩٩٪ من أهل هذا العالم فأنا لست ملك الموت، ولكن سأبذل

كل جهدي لأقضي على النسبة الأكبر منهم وهم أشر الخلق كما فعلت مع من قتلتهم؛ فقد اخترتهم بعناية فائقة، وبالفعل بعد قتلهم ابتهجت قُراهم وكأنهم حصلوا على جائزة؛ فمعهم الحق في ذلك فقد نالهم من هؤلاء شرًا مستطيرًا كادوا معه أن يفقدوا أي شعور بوجود العدل في هذا العالم، وهنا جاء دوري أنا؛ سفير التطهير!

كانت أولى جرائمي -كما تقول الصحف ولكنني أسميها أولى تطهيراتي- في قرية تسمى "البحر" وهي تقع على فرع من فروع نهر النيل، على طرف القرية يوجد منزل أسفله مرفأ يستخدمه صاحبه لتأوي إليه مراكبه التي يؤجرها للصيادين الفقراء بمبالغ باهظة مقارنة بما يصطادونه من أسماك، العجيب أنهم حتى لو لم يصطادوا فإنه يأخذ أجرته أيضًا دون رأفة بحالهم، سعدون صاحب المرفأ الرجل

الطماع البخيل القاسي القلب الظالم لفقراء قريته والذي لم يرق قلبه قط لتوسلاتهم له أن يتوقف عن ظلمهم سواء بأجرة المراكب الباهظة أو بالغرامة الثقيلة التي يفرضها على من يتأخرون بتسليم المركب في موعدها عند المغرب أو بالثمن البخس الذي يشتري به منتوجهم اليومي من الأسماك والتي يبيعها بدوره بأضعاف ثمنها الذي اشتراها به، فكان لا بد من تحرك سريع من سفير التطهير ليقضي على هذا السعدون الطاغية.

في ليلة التطهير لهذا السعدون ارتديت بذلتي الخاصة والتي هي عبارة عن زي أسود سميك جلدي من الخارج وبه أكثر من طبقة من الداخل حتى يحميني من أي سلاح فقد صممته بنفسي، البذلة متصلة ببعضها البعض من الرأس للقدم وعلى الوجه قناع أسود به خزان أكسجين يكفيني حتى أنتهي وأيضًا به نظارة

تجعلني أرى في الظلام بوضوح، أما عن كفيّ فالبذلة هنا أخف لكي أستطيع التعامل بها، البذلة ناعمة جدًا وقد صممتها بتقنية تجعلها لا تترك أثرًا سواء من القدم أو باقي الجسد وتنظف نفسها من أية آثار تتركها الجثة عليها، أخذت حقيبتي والتي تشبه بذلتي وتوجهت نحو القرية عند منتصف الليل، كانت القرية كلها نائمة إلا هذا السعدون الذي انتهى لتوه من تسليم الأسماك للتجار الذين يشترونها منه وذهبوا عنه فوقف هو أسفل منزله عند المرفأ ليقوم بعدِّ أمواله وتملأ عينيه لذة وعلى ملامحه سعادة بالغة بكل جنيه اكتسبه من ظلم الضعفاء فقررت أن أمحوهما!

كنت قد قمت بتركيب أكثر من نوع حمض معًا وبعد تجارب شتى نجحت في صنع حمض التطهير الخاص بي؛ هو حمض شفاف بالكاد يُرى في حالته السائلة، أما في حالته الصلبة

فهو عبارة عن حبيبات صغيرة كحبة العدس وعندما تختلط برِيق من يبتلعها تكبر شيئًا فشيئًا كالبالون حتى تصل لأقصى طاقتها فتنفجر مخلفة حمضًا سائلًا لونه أصفر يميل للحمرة يبدأ في إذابة الجسد بعدها شيئًا فشيئًا، لقد استخدمت مع سعدون النوعين لأنه يستحقهما عن جدارة، بدايةً بَاغَتُّه من الخلف ولصقت فمه ثم قمت بربط يديه خلف ظهره وأسقطته على الأرض وربطت قدميه ثم قلبته على ظهره وسكبت الحمض فوق وجهه، كم شعرت بالمتعة وأنا أسمع صوت صرخاته المكتومة وجسده ينتفض يمنة ويسرة في محاولة بائسة للخلاص! بعدما أنهى الحمض مهمته كان جسده قد استكان وأصيب بالإغماء، لم يتحمل جسده العجوز الواهن هذه الآلام وليته تحملها لكنت مُعذبه أكثر من ذلك، بعدها فتحت فمه ووضعت به حبة التطهير لتؤدي إلى انفجار بطنه التي أكل فيها أموال الضعفاء

لتشتعل نارًا وليته لم يمت قبل أن يذوقها. بعد حوالي نصف ساعة توقف نبضه بعد أن انتشر السم الذي يغلف الحبة في جسده فقلبته على وجهه وفككت أربطة يديه وقدميه ثم تركته وعدت لمنزلي وكلي سعادة غامرة بأول إنجاز لي.

بعد يومين كنت أنتظر متخفيًا في أحراش البوص لأقوم بعملية التطهير الثانية في قرية الدهمون الملاصقة لقرية البحر، كان اختياري هذه المرة مخالفًا لهدفي وهو تطهير العالم من الظالمين ولكن كان لا بد من التخلص من هذه اللطيفة، كيف أترك فتاة مثلها تحمل هذا القلب الغض النقي تعيش في دنيا الغاب هذه وتنجب أولادًا يشبهونها فينتشر الضعفاء في الأرض فيزيدون الظالمين بطشًا؟ فالظالم يسعده ضعف غيره ويشعره بقوته. رأيتها تقترب من الأحراش وهي ترتجف خوفًا من هذا المكان

الذي تراه لأول مرة، عندما اقتربت مني أتيت من خلفها وفصلت رأسها عن جسدها مستخدمًا ذلك الخنجر الذي صنعته خصيصًا ليتحمل قوة الحمض حتى لا يذيبه، أغرقت الخنجر بالحمض وفور ملامسته لأوردتها كان يحرقها فلم تنزف نقطة دم واحدة، سقطت لطيفة جثة هامدة والتي لم أمهلها لتقاوم فقد فصلت رأسها بسرعة قبل أن تدرك ما أصابها لم أُرد أن أعذبها، سقط جسدها على الأرض فوضعت رأسها على الأرض وأخرجت لسانها وقطعته ومزقته لقطع صغيرة ثم وضعته في فمها وأغلقته عليه؛ ذلك اللسان الذي كان لا ينطق إلا بألطف الكَلِمِ وأعذبه كان لا بد من تمزيقه انتقامًا منه على طهره هذا وكذلك فعلت بالقلب! شققت عن صدرها فلم ينزف بسبب الحمض وأمسكت بقلبها فانتزعته بقوة بيدي فأغرق صدرها بالدماء فقطعته لأشلاء صغيرة هو الآخر عقابًا له عن كل نبضة حب وحنان

نبضها لهؤلاء البشر الطغاة ثم وضعته في تجويفه مجددًا ووضعت معه حبة التطهير ثم أغلقت الصدر ووضعتها على بطنها في الأحراش ووضعت رأسها في مكانه ثم تركتها وذهبت ليندثر بعد ذلك ذاك الجسد الطاهر وينتهي من الوجود، وعدت أنا إلى بيتي فرحًا بذاك الانتصار وإنجازي الثاني.

في نفس الليلة توجهت لبلدة مجاورة تُسمى "النعيم" أيُ نعيم هذا؟! اسم على غير مسماه؛ فالقرية كلها تحيا في جحيم تلك المرأة المسماة نعمة والتي كانت هي الأخرى اسم على غير مسمى! كم كانت هذه المرأة مؤذية بشعة؛ تتهم الناس بالسوء، وتشوه سمعتهم، وتطعن في أعراضهم، وتسرقهم، وتحسدهم، وترش وتدفن لهم الأسحار بالموت والأمراض والخراب، كانت سليطة اللسان لا يسلم الناس من شر لسانها ولا أفعالها، صاحب أسوأ حظ

هو من كان بيته ملاصقًا لبيتها، الكل يخشاها ويمرون من أمام بيتها بوجل، فوجب علي التحرك سريعًا للخلاص من أم البلايا تلك كما يسميها أهل القرية.

كم غاظتني هذه المرأة فعزمت أن أقطع لحمها وأنثره في الطريق كما كانت تنثر الأسحار للناس وتقطع عنهم سبل الخير وتمنع عنهم الرزق بحسدها وأسحارها، وأيضًا لتأكلها الحيوانات كما كانت تأكل في أعراض الناس وتأكل الحرام من أموالهم التي تسرقها، وصلت منزلها بعد منتصف الليل، طرقت الباب ففتحت لي بسرعة ولم تخش أن أكون سارقًا، فمن يستطع سرقة امرأة مثلها، سألتني عمن أكون فأخبرتها أنني زبون أود أن تقوم بعمل سحر لأؤذي به صديقي، ابتسمت وفرحت بهذا الخبر فأدخلتني ومضت مسرعة أمامي فأغلقت الباب خلفي ودخلت وراءها، أدخلتني غرفة مليئة

بكل أدوات السحر فجلست أمام المبخرة وطلبت مني أن أجلس لكن لم أمهلها وفي حركة سريعة مباغتة مددت يدي في فمها وأخرجت لسانها وقطعته من جذوره وانتزعت حنجرتها، وقبل أن تفعل أي شيء كنت قد قطعت يدها بخنجري ولكن لم أستخدم الحمض هذه المرة لأجعلها تتألم، أخذت أقطع جسدها قطعًا صغيرة وهي تنظر تكاد تخرج عيناها من محجريها من شدة الرعب والألم، كم أمتعتني نظرات الخوف تلك ومنظر فمها الذي تفتحه على آخره من شدة الألم مع كل قطعة أمزقها من جسدها في محاولة بائسة منها للصراخ دون جدوى، مزقت أغلب جسدها ولكن مع الأسف ماتت قبل أن أمزقه كله عندما انتزعت قلبها فتوقف نبضها، انتهيت من تمزيق جسدها وتركت رأسها كما هو ليتعرف عليها الناس، جمعت أشلاءها في جرادل ونثرتها أمام البيت ثم دخلت نظفت آثار الدماء والجرادل بعناية بالماء

ثم بمادة اخترعتها تمحو أي أثر للدماء قد تكتشفه الأدوات الحديثة للفحص الجنائي، بعد ذلك خرجت وأغلقت الباب خلفي كأن شيئًا لم يكن وعدت أدراجي إلى بيتي والسعادة تغمرني هذه المرة أشد من كل مرة فعملية التطهير هذه المرة كانت الأفضل على الإطلاق ولكنها لم تكن الأصعب؛ فأصعب عملية تطهير سأقوم بها هي ما أستعد الآن لتنفيذها!

الفصل الثامن

"التطهير الأصعب"

ليست كل عملية تطهير بالسهولة التي ترونها؛ مجرد جريمة حدثت في وقت قصير وانتهت، الأمر ليس كذلك، بل يستغرق مني جهدًا عظيمًا قد لا تتخيلون مقداره، تلك التطهيرات أُعد لها منذ شهور، قليلة كانت أو كثيرة لا يهم لكن الأهم هو أنني كنت ليلًا ونهارًا أخطط لهذه العمليات على النحو التالي؛ بداية أسمع عن الضحية صدفة فأجمع عنها معلومات شتى ثم أخطط كيف أقتلها بطريقة مناسبة لحياتها التي عاشتها ثم أرتب أدواتي المناسبة لذلك وفي النهاية أنفذ، أما عن الحمض الذي أستخدمه وباقي الأدوات استغرقت سنوات من عمري في البحث والتجارب والتدرج بين الفشل والنجاح حتى استطعت أخيرًا أن أتحصل على هذه

النتيجة المبهرة، لم أُرد أن أُطهر العالم من الفاسدين فقط بل أردت أن أُثبت للعالم أجمع أن علم الكيمياء ليس حكرًا على من درسوه في الجامعة فقط وإنما هو هواية وموهبة نستطيع أن نبدع ونتميز فيها طالما نملك العقل والأفكار غير التقليدية والأهم أن نملك الهدف والشغف لتحقيقه.

هذه المرة سأتصرف دون تخطيط لأيام كالمعتاد فأنا مضطر لكسر قواعدي؛ فعلى الرغم من أنها أصعب عملية تطهير سأقوم بها ولكنها أهمهم ولا ينبغي أن أُضيع الوقت حتى لا يحيق بي الخطر ويتم كشفي. عملية تطهير اليوم هي النقطة الفارقة التي ستحدد هل سأستمر أم سينتهي أمري.

بعد ساعة عُدت من الخارج وعلى كتفي ضحيتي، نعم لم أقتلها في بيتها أو بلدها كما فعلت مع سابقيها؛ وهذا لأنني لم أقتلها بعد! نعم فهي ورقتي الرابحة، بها سأشغل المحققين في البحث عنها حتى يتسنى لي إكمال تطهيراتي بحُرية، وأيضًا لتكف عن إعمال عقلها الفذ هذا والذي أخشاه بشدة فأنا على ثقة أنها مع قليل من التفكير ستعرف من أكون، ها قد حبستها في الغرفة المظلمة وحدها لعلها تُجن وأستريح منها، ولكن هل من تملك عقلًا كعقلها ستُجن بسهولة؟! ليتها ما وقعت في طريقي.

بعد ساعتين استيقظتْ، عرفت ذلك من صوت تحركاتها بحثًا عن المخرج، لم تصرخ ولم تهتز حتى! كم هي قوية وناضجة! أخذت مصباحي واقتربت من الباب وفتحت بمفتاحي نافذة صغيرة جدًا في الباب من أعلاه، وجهت

مصباحي نحو النافذة فأضاء لها الغرفة بعض الشيء فتلفتت حولها ووجدت أنها في غرفة فارغة إلا من سرير كانت نائمة عليه وحمام صغير ضيق في زاوية الغرفة ليس به نوافذ بالطبع كما أن الغرفة خالية من النوافذ والشرفات، لم تخف بعدما رأت سجنها وتوجهت بنظرها نحو نافذة الباب وقالت: لماذا خطفتني ولم تقتلني كما قتلتهم مباشرة؟

اندهشت من سؤالها وسألتها: من تقصدين؟

قالت بثقة بالغة: أقصدك أنت أيها القاتل، أنت الذي قتل سعدون ولطيفة ونعمة وتود قتلي أنا الأخرى، فلماذا لم تفعلها بعد؟

اندهشت من حديثها وسألتها: وكيف عرفتِ أنني القاتل؟ ربما أكون شخصًا آخر لا علاقة

له بتلك الجرائم، ربما أردت سرقتك أو بيع أعضائك مثلًا.

ضحكت بسخرية وقالت: أتظن أنني بهذا الحمق يا رجل؟ من له مصلحة في التخلص مني غيرك أنت؟ أنت فقط من يهمه موتي حتى لا أكشفه، ولكن عدم قتلك لي يثير تساؤلي.

أبعدت المصباح وقلت لها وأنا أعطيها زجاجة ماء وكسرة خبز: ليس لي مزاج الآن لقتلك، أو ربما لم أجد بعد الطريقة التي أقتلك بها تكون مناسبة لك وقوية بالنسبة لي لتكون أفضل من سابقيها، نامي الآن ولا تفكري حتى لا تخافي، فأنا أحب أن تشعر ضحيتي بالخوف المفاجئ لا المسبق.

أغلقت النافذة ولم أمهلها لترد وذهبت للنوم وتركتها وحدها تكابد عناء الخوف والتفكير.

في الصباح الباكر توجه سليمان نحو مكتب الضابط راشد وفتحه بقوة ودخل دون استئذان وهو يرجف من شدة القلق فانتفض راشد وسأله: ما بك يا سليمان؟ ماذا أصابك لتبدو بهذا الفزع؟

أجابه سليمان وهو يجاهد ليلتقط أنفاسه: تقية! لا أجدها.

قلق راشد هو الآخر وسأله: كيف لا تجدها؟ أليست في البيت أو العمل أو حتى المشرحة؟

جلس سليمان على الكرسي فلم تعد قدماه قادرتان على حمله ثم قال وقد ترقرق الدمع في عينيه: بحثت عنها في كل مكان وسألت كل الزملاء وبحثت في البيت وعند الجيران ولم يدلني عليها أحد.

قام راشد من مجلسه وتوجه نحو سليمان وربت على كتفه وقال بحنان: لا تقلق يا صديقي، ربما ذهبت لتفعل كما فعلنا نحن وتبحث بنفسها عن القاتل.

هز سليمان رأسه نافيًا الفكرة وقال: يستحيل أن يحدث ذلك؛ تقية اسم على مسمى، تخشى الله وتتقيه وتراعي زوجها وحقه، ومنذ تزوجنا لم تخرج بدوني أو حتى بدون إذني، أنا وتقية يتيمان جمعنا الله في حلاله فأصبحنا لبعضنا البعض السكن والأهل والأقارب والأصدقاء،

ليس لنا علاقة بأحد رغم حب أهل القرية لنا ولكننا لا نختلط بأحد حتى زملاء العمل، فعلاقتنا مع الجميع علاقة مودة وليست علاقة تطفل، أهل القرية جميعهم قلقون عليها وساعدوني في البحث ولكن لا أثر لها! أخشى أن....

سأله راشد بخوف: تخشى ماذا؟

أجاب سليمان بفم مرتجف وقلب واجف: أخشى أن يكون ذاك المجرم قد قتلها.

ارتعب راشد وحاول طمأنة سليمان قائلًا: ولمَ يقتلها هي بالذات؟ الفريق كبير فلماذا هي؟ لا تخف يا صديقي ربما مرضت فجأة فأخذها أحدهم إلى المستشفى أو ربما أرادت أن تفكر

وحدها بهدوء فذهبت إلى مكان بعيد عن الناس.

قال سليمان بيأس: ذهبت إلى مكانها الوحيد الذي تذهب إليه إن ضاقت نفسها ولم أجدها.

قال راشد: سأوجه رجالي للبحث عنها وسننشر صورها في كل الأقسام ربما وجدها أحدهم، لا تقلق وفوض أمرك إلى الله.

قال سليمان بيقين: لا إله إلا هو، عليه توكلت وأنا على يقين أنه سينقذها ويحميها.

في الليل توجه إلى الغرفة القابعة بها وفتح النافذة وبيده المصباح وناداها: تقية، زوجك

قلق عليك للغاية، ألهذه الدرجة يحبك؟ إنه أحمق إذًا ليحب فتاة حمقاء مثلك.

نهضت تقية من على السرير وتوجهت نحو نافذة الباب ووقفت قبالتها وقالت: تلك الحمقاء هي من ستنهي أمرك بإذن الله، لا تستقل بي فأنت لا تعرف قدري، ولا تعرف أيضًا أن الله معي ودومًا ينقذني من كل مكروه، فهل سيتركني القوي لضعيف مثلك؟!

قالتها وهي تبتسم مستهزئة به فاغتاظ ووقف قبالتها وقال بثقة: سنرى من الفائز في النهاية يا حمقاء؛ أنا أم أنت.

تعالت ضحكات تقية وقالت: ألهذه الدرجة أنت جبان؟ ما هذا القناع؟ أليست لديك الجرأة لتواجهني بوجهك الحقيقي يا جبان؟

ازداد غيظه فأغلق النافذة بقوة وتركها تكابد الجوع والعطش مع الظلام والتفكير.

أسدل الليل ستائره على الجميع منهم من نامت عيونه قريرة ومنهم من أرقه الحزن والتفكير؛ تقية تناجي ربها أن ينقذها ويحفظها ويربط على قلبها، سليمان يخشى على تقية ويبتهل إلى الله أن يطمئنه عليها ويحميها من كل أذى وييسر له معرفة مكانها، أما سفير فجالس بغرفته يفكر هل يقتلها أم ينتظر، وماذا لو عثر عليها سليمان، فظل يفكر لساعات حتى رسخت في رأسه فكرة ونام عازمًا على تنفيذها.

الفصل التاسع

"نِقاش"

يا له من فقير مسكين أحوجه العوز إلى التسول كل يوم في كل قرية، لا يَكِل ولا يَمِل من جمع المال، ولكن ماذا يفعل بكل ما يجمعه وهو لا يبيعه وليس لديه أهل أو أولاد؟ حتى أن جيرانه وأهل قريته يتكفلون به فيرسلون أولادهم بوجبات الطعام له على مدار اليوم ويغسلون له ملابسه ويرسلون له ملابس من ملابسهم أيضًا! فما الداعي لتسوله وهو لا يحتاج؟ أمره غريب يستحق البحث، أليس كذلك؟ وهذا ما قد قمت به بالفعل؛ لقد بحثت في أدق تفاصيل حياته وعرفت عنه ما لم يعرفه كل من يشفقون عليه، عرفت عنه أشياء اِعْتَقَدَ هو أنها ستظل سره الكامن إلى الأبد، ولكنه لم يكن يتوقع أن سره هذا ليس

بمستعصٍ على سفير التطهير الذي عزم على تطهير الكون منه ليكن عبرة لأمثاله.

ربما يظن من يعرف بمقتله في البداية أنه كأي متسول عادي؛ أي أنه كان يدَّعي الفقر والفاقة ويتسول منهم ليتعيش وهو في الواقع يكتنز تلك الأموال في زكائب وربما في البنوك أيضًا، ولكن هذه نصف الحقيقة فقط، وهو بشع بالفعل، فهو يسرق من أموال الناس مُستدرًا عطفهم ويجمع من أموالهم تلك كنزًا لو وزعه عليهم لحل مشاكلهم جميعهم؛ فهم أيضًا فقراء مثله ولكنهم يكدُّون ويكتسبون قوتهم نظير عملهم وشقائهم وليسوا مثله متواكل على غيره، رُغم ما قلته هذا مختصرًا إياه نظرًا لتشابهه مع قصص كل المتسولين عبر الأزمان ولا جديد فيه ولكنني عانيت كثيرًا حتى توصلت إلى أن هذا الشخص استحق وعن جدارة أن

يكون أحد تطهيراتي والتي انتهيت من تنفيذها منذ لحظات.

أشعر بسرور بالغ هذه المرة لذلك أود أن أتشارك سعادتي مع شخص ما، ولكن من يكون يا ترى؟ ومن غيرها؟ إنها تقية القابعة في سجني سأخبرها بما فعلته لتعلم أنني أفعل الصواب ولست سفاحًا كما يظنون.

- "أيتها الحمقاء."

ناديتها من خلف نافذة باب الغرفة بعد أن فتحتها ولكنها لم تُجبني فوجهت مصباحي من خلال النافذة لينير الغرفة قليلًا لأرى هل هي مستيقظة أم ماتت، وجهت مصباحي ناحية السرير فوجدته فارغًا! أين هي إذًا؟ فتحت باب الغرفة لأبحث عنها وأغلقته خلفي تحسبًا لأي

كمين قد تفعله تلك الحمقاء ولكنني لم أجدها مختبئة بجوار الحوائط كما ظننت، بحثت في حمام الغرفة لم أجدها أيضًا، توجهت ناحية السرير ربما كانت نائمة وسقطت من فوقه وهذا بالفعل ما حدث؛ لقد وجدتها نائمة على الأرض بجوار السرير في الجهة الأخرى لذلك لم أستطع رؤيتها، ناديتها لتستيقظ لم تُجبني، رفعت صوتي أكثر ولم أجد ردًا، حركت كتفها بيدي بلطف لم تتحرك فحركتها بقسوة لم تتحرك، ما هذا؟ هل ماتت أم تتصنع الموت؟!

خرجت من الغرفة وأحضرت زجاجة مياه وطعام وكوب ماء مُحلى بالسكر ثم دخلت مجددًا وأغلقت الباب بعناية ونضحت في وجهها بعض الماء حتى أفاقت، أعنتها حتى شربت الماء بالسكر ثم ساعدتها على النهوض والاستلقاء على السرير وكانت ما تزال في حالة ضعف وعدم تركيز، بعد قليل استطاعت

أن تفتح عينيها وأفاقت بشكل جيد فسألتها: هل أنتِ بخير الآن؟

عندما سمعت صوتي فزعت ونهضت مسرعة من رقدتها وجلست على السرير وقالت بصوت مرتجف: لماذا دخلت إلى هنا؟ ماذا فعلت بي؟

قلت لها بهدوء: اهدأي، لم أفعل لك شيئًا، لقد ناديتك ولم تُجيبي، ونظرت في الغرفة لم أجدك فاضطررت لفتح الباب لأرى ماذا حدث لك وقد وجدتك فاقدة الوعي بجوار السرير، ما فعلت شيئًا سوى أن ساعدتك على الإفاقة فقط.

قالت وهي تحاول أن تتذكر: لا أتذكر سوى أنني كنت أصلي فشعرت بقشعريرة ثم غثيان ولم أشعر بأي شيء بعدها.

سألتها: هل أنتِ حامل؟

تعجبت من سؤالي وقالت: لا أعلم! ولكن لماذا تسأل؟

أجبتها: مؤكد أنك حامل، وربما لم تعرفي بعد.

سألتني بدهشة: وما الذي يجعلك متأكدًا لهذا الحد؟ وما دخلك في ذلك من الأساس؟

أجبتها بسخرية: لأنه ليس من غير المعقول لفتاة باردة مثلك أن تصاب بالإغماء فقط لأنها لم تأكل شيئًا ليوم واحد فقط فلستِ بتلك الرقة، أكاد أُجزم أنك قد تعيشين أسبوعًا كاملًا دون طعام ولا يؤثر فيك ذلك بشيء، لكن ما حدث لك وما قلته يدل على أنكِ ربما تكونين حاملًا،

لا يهم، لن يفرق معك ولا معي في شيء طالما أن النهاية معروفة، المهم الآن أن تتناولي طعامك ريثما أحكي لك ما أنجزته اليوم.

سألتني بفضول: ماذا أنجزت؟

أجبتها بتعجب: يا لكِ من فضولية! تناولي طعامك أولًا بعدها أخبرك.

قالت باستسلام وهي تأخذ طعامها من يدي: حسنًا، سأتناوله.

بدأت تتناول طعامها وهي تنظر حولها بدهشة ثم تابعت: ما هذا؟ إن في الغرفة مصباحًا! منذ متى وهو هنا؟ لقد بحثت في كل الجدران عن

مفتاح إضاءة لم أجد فتوهمت أن الغرفة ليس بها كهرباء.

أجبتها بلا مبالاة: هو دائمًا هنا، أضأته عندما خرجت لأحضر لك الماء والطعام، يُضاء من الخارج وليس من الداخل.

سألتني باستهجان: فلماذا إذًا تتركني في الظلام؟!

تعجبت من سؤالها الأحمق وقلت لها: أيتها البلهاء! أنا قمت بخطفك فهل تظنين أنني سأضعك في غرفة بفندق خمس نجوم؟! من البديهي أن أضعك في غرفة كهذه في الظلام، لماذا قد أُنيرها لكِ؟ هل لديك امتحانات وتودين المذاكرة؟ بالطبع لا، إذًا فما الحاجة للضوء.

أجابتني ببلاهة متوقعة منها: من حقي كإنسان أن أرى الضوء، لا نوافذ لتدخل منها الشمس وحتى ضوء المصباح تحرمني منه، ما هذا الإجحاف؟!

ابتسمت بسخرية وقلت باستهزاء: هل تظنين أنكِ موظفة تطالبين رئيسك في العمل بحقوقك المسلوبة؟ أنا خاطفك ولست رئيسك في العمل ولا حتى زوجك، يبدو أن كل النساء يحفظن بعض الكلمات ويُرَدِّدنها لأي رجل يقابلونه أو مسئول عنهن.

ابتسمت ابتسامة عجيبة وقالت بانتصار: لقد فهمت الآن.

سألتها بعدم فهم: ماذا فهمتِ؟

وضعت يدها على جانب عينها لتعدل من وضع نظارتها في حركة لاإرادية يفعلها كل صاحب نظارات خاصة عندما يأخذ وضع التفكير أو قول رأيه وما يفكر به ولكنها انتبهت أنها غير موجودة فصرخت في وجهي وسألتني بعصبية: أين نظاراتي يا هذا؟

أجبتها وقد تذكرت لتوي أنني خطفتها بها، ولكن أين ذهبت؟: يبدو أنها ضاعت وقت قمت باختطافك، لا عليك أخبريني بمقاساتها وسأشتري لكِ واحدة جديدة.

قالت ببكاء كأنها قد تحولت لطفلة: لا أريد منك شيئًا، أريد نظاراتي البنية، أريدها هي ولا أريد غيرها.

قلت لها متعجبًا: ما هذه الطفولية؟! سأشتري لك مثلها وسأحاول أن أجدها بنفس اللون، لا تتصرفي بصبيانية، أي نظارة تفي بالغرض.

ازدادت دموعها انهمارًا وقالت بحزن: لقد اختارتها لي أمي ولا أرتضي بغيرها بديلًا.

شعرت بأسى فقلت لها بهدوء لعلها تهدأ: آسف لك، لم أكن أعرف، سأبحث عنها حتى أجدها وسأشتري لك غيرها ريثما أجدها، والآن أخبريني ما الذي فهمتينه وكنت على وشك إخباري به.

فجأة تحولت تلك البلهاء من حالة البكاء والحزن لحالة من الحماس الشديد وقالت: لقد فهمت أنك تحولت لسفاح بسبب امرأة لهذا

تظننا جميعنا بنفس السوء، لا أدري لمَ يتحول أغلب الرجال لسفاحين إن هجرتهم امرأة؟

لم أتمالك نفسي وأخذت أضحك بهيستيرية للحظات أمسكتُّ بعدها عن الضحك ثم جلست أمامها على السرير بعيدًا عنها قليلًا ونظرت في عينيها بقوة وقلت لها: لا تجرؤ أي امرأة على الإطلاق أن تهجرني أو تُسيء إليّ، لم يكن في حياتي امرأة قط، حتى أمي ماتت وهي تلدني ولم يتزوج أبي غيرها، أنت حقًا حمقاء لتفكرين كذلك؛ فكل سفاح يا حمقاء أصبح كذلك بسبب امرأة يقتل النساء فقط وليس النساء والرجال، ولو لاحظتِ سيرة حياة كل من قتلتهم لوجدتِ أنهم كانوا أسوأ الخلق ويؤذون من حولهم لذا طهرت الأرض منهم.

تعجبت من حديثي وظلت تنظر إليّ باستهجان دون أن تنطق فسألتها: لمَ لا تتحدثين؟ ألم يعجبك ما قلته؟

تنهدت بهدوء ثم قالت: إن كانت تكهناتي غير صحيحة والحقيقة هي ما قلته أنت وإن كنت أشك في ذلك فلماذا قتلت لطيفة إذًا؟ إنها فتاة صغيرة لم ترتكب جُرمًا بعد وكانت محبوبة من كل من عرفها، أخبرني إذًا لماذا قتلتها وقتلت البقية؟ فمهما كان جرمهم ومدى بُغض الناس لهم فكيف تُنَصب نفسك قاضيًا وجلادًا على الناس؟ من تكون أنت لتفعل ذلك؟

نظرت لها بصمت قليلًا ثم أجبتها: لقد نذرت حياتي لهدف واحد أحيا لأجله، حرمت على نفسي الزواج والفرح بالأولاد والعيش حياة

طبيعية لأحقق غايتي التي خلقني الله لأجلها ولن أتوقف ما حييت.

سألتني باندهاش: غايتك التي خلقك الله لأجلها! ما هي تلك الغاية التي تتحدث عنها؟

أجبتها بهدوء وثقة: لقد خلقني الله لأطهر الكون من أخبث الخلق الذين يفسدون في الأرض ويؤذون الخلق.

سألتني باستنكار: كيف تقول هذا؟ ما أدراك أن الله خلقك لهذه الغاية؟ ومن أخبرك أن الله أمر بالقتل؟ ألا تعلم أن مهما كانت جرائمهم من إفساد في الأرض فقتل النفس التي حرم الله هو أعظم إفساد في الأرض، وأن أول ما يقضي الله فيه يوم القيامة هو الدماء؟ ألا تعلم أن القتل من الكبائر وحرمه الله فهو وحده من خلق

الخلق وهو وحده من يحق له حسابهم والاقتصاص منهم بما يستحقون؟

سألتها بتعجب: كيف تقولين هذا؟ ولماذا يقتص القضاة من المجرمين إذًا؟ لو كان الأمر كما قلتِ فستفسد الأرض، وسيحيا الفاسدين بحرية دون رادع، وسيفعل كل مجرم ما يحلو له ولن يخشى شيئًا.

أجابتني بحدة: القضاء شرعه الله للحكم بين الناس ليرتدع المجرمون ولينال كل مجرم عقابه، الاقتصاص من الناس له قوانين وليس مَشاعًا، القضاء والاقتصاص يكن لولاة الأمر وفي أيامنا هذه للشرطة والقضاء وما شابههم، وليس باستطاعة كل شخص أن يقتص ممن يشاء كيفما شاء فهكذا ستتحول الأرض إلى غابة ولن تصلح بل ستفسد أكثر، كل من أخطأ

في حق الناس سيحاسبه الله في الدنيا والآخرة ولم يأمرنا بقتل كل ظالم؛ فالقتل له حدود يا هذا شرعها الإسلام وشرع كيفية تطبيقها، فلا تحلل لنفسك ما حرمه الله.

قلت لها بغضب: لم أحلل ما حرم الله، أنا أقوم بواجبي، رزقني الله مقومات لم يرزقها لأحد غيري فلماذا لا أستخدمها فيما أراه صالحًا؟ لم أقتل كل بشري أراه بل قتلت فقط من يؤذون الخلق كما فعل الخضر مع الغلام، ما فعلته معهم سيكون رادعًا لكل من تُسول له نفسه أن يحذو حذوهم فأحكام القضاء لم تعد رادعة للمجرمين ولا تُثنيهم عن جرائمهم، لو كانت القوانين تحاكم كل من يؤذي غيره بحكم رادع لما جرؤ أحد على الظلم والعدوان، ولكن الناس يرونها عادية لا تضر ولا تنفع فتجرأوا وبغوا على الخلق وتجبروا بقوتهم وأموالهم التي ظنوا أنها تحميهم وبالفعل حمتهم من أعين

الشرطة والقضاء ولكنها لن تحميهم من حساب الله يوم القيامة، أما أنا فدوري أن أتخلص منهم طالما لا شيء يردعهم، كل من قتلتهم بحثت في أدق تفاصيلهم وعرفت عنهم ما لم تعرفونه أنتم ولا الشرطة ولا أهالي قُراهم لذلك عزمت أن أطهر البلاد منهم ومن كل من يؤذي غيره وسأفعل ذلك دائمًا، لا يهمني ما ترينه أنت المهم ما أراه أنا ومقتنع به.

سألتني بفضول: وماذا عرفت عنهم لتقتلهم بتلك الطرق البشعة؟ بل ما هذه المادة العجيبة التي تستخدمها؟ هل أنت كيميائي أم طبيب؟

أجبتها بلا مبالاة: لست كيميائيًا ولا طبيبًا.

سألتني بتعجب: ماذا؟! كيف ذلك؟ إن طريقة قتلك لهم تدل أنك طبيب بارع وتعرف الكثير عن علم الكيمياء، من تكون إذًا طالما لست طبيبًا؟

أجبتها بغرور: أنا سفير التطهير.

الفصل العاشر

"سليمان"

كنت أظن أن دوافع أي قاتل لقتل ضحيته أو ضحاياه هي دوافع خاصة به بسبب تعرضه لمشكلة مع هذا الشخص الذي قتله أو عدة أشخاص فقتلهم جميعهم، أو ربما شخص واحد فقتل بعده غيره ليضلل جهات التحقيق، أو لأنهم يتشابهون مع ضحيته في أمر ما استفزه وجعله لا يريد لهم الحياة؛ هذا هو المتكرر في أغلب جرائم القتل، كما أنه بنسبة كبيرة تكون طرق القتل واحدة أو متقاربة؛ أي معتادة في الحالات العادية، وقد تكون مختلفة قليلًا وبشعة غالبًا في حالة كان القاتل يعاني من مرض نفسي أو تلبس شيطاني سواء كان بسبب وُلُوجِه عالم الجن برغبة منه أو دون دراية منه كما يحدث فيمن يتبعون الإلحاد في صورته

الجديدة وهي علوم الطاقة وتوابعها. لكن في حالة القاتل الشبح هذا لم أكن أتوقع قط أن يوجد مثل هذا الأمر في الدنيا، لم يخطر لخاطري قط أن يكون هناك آدمي قد يفعل مثل فِعاله ولا يكون مجنونًا! هذا ما ظننته منذ رأيت أول جريمة وما تلاها من جرائم؛ ظننت في البداية أن القاتل شخص سادي يعشق رؤية الدماء ويستلذ بتعذيب ضحاياه ورؤية تعبيرات الألم على وجوههم وسماع أنَّاتهم، لكن مع استخدامه للاصق الفم مع سعدون وقتله للطيفة بسرعة ثم نزعه لسان وحنجرة نعمة فهذا ينفي حبه لسماع صوت صرخات الألم، كما أن استخدامه لتلك المادة العجيبة والتي تمنع نزيف الدماء نفى أيضًا فكرة تلذذه برؤية الدماء لذا ظن عقلي أنه قد يكون مجنونًا ولكن بعدما رأيت طريقة القتل المختلفة مع كل قتيل وما حدث للجثث بعد موتها مما يدل على عبقريته الشديدة في علم الكيمياء فيستحيل مع

كل هذا أن يملك هذا الشخص عقلًا غير متزن، فالآن وبملء فمي وعن اقتناع تام أستطيع أن أقول أننا أمام قاتل ذو عقلية فذة وقد يكون أذكى قاتل في العالم بل أذكى بشري على الإطلاق في عصرنا هذا! ترى ماذا سيفعل بتقية؟ أو لعله فعل!

يكاد التفكير يقتلني خوفًا عليها ويصور لي عقلي تصورات كثيرة عن كيف سيقتلها هذا القاتل البشع، ولكن ماذا فعلت له تقية ليختطفها؟ إن كان اختطفها لأنها من الفريق الجنائي فما الخطر الذي قد تشكله عليه ونحن لا نستطيع إيجاد أي دليل قط؟ إنها حقًا كثيرة التساؤل وحاولت مرارًا أن تعرف أي شيء يدل على القاتل لكن لم تنجح ومن المؤكد أنها لن تنجح مع قاتل بهذا الذكاء، فلماذا يخشاها؟ ولكن كيف عرف بمحاولاتها في الكشف عن الحقيقة ولم ينتشر أي خبر عن مجهوداتنا في الصحف؟ أيعقل أن يكون القاتل أحد أفراد

الفريق الجنائي؟ لا لا، هذا غير معقول! فجميعهم أطباء بالفعل ولكنهم ليسوا بهذه العبقرية في الكيمياء، ربما يكون القاتل من إحدى القرى التي زرتها أنا والضابط وشعر بالخطر من أسئلتنا فأراد أن يلهينا....

قاطع تفكيري صوت رنة هاتفي والتي أعلنت عن وصول اتصال من الضابط راشد، تناولت الهاتف متلهفًا لأجيب على المكالمة لعله يطفئ نيران قلبي بخبر عن تقية، بمجرد أن فتحت المكالمة قال لي دون مقدمات: جريمة أخرى، هيا تعال إلى العنوان سريعًا لتُحقق في الأمر، أرسلت لك العنوان.

ثم أنهى المكالمة دون أن ينتظر أن أسأله عن القتيل، فتحت الواتساب سريعًا فعرفت العنوان وأرسلت له أسأله من القتيل لكنه لم يجبني، تركني أتخبط هكذا في حيرتي والقلق ينهشني وأنا أتساءل هل هي القتيلة أم شخص آخر؟

لم أنتظر أكثر وارتديت ثيابي مسرعًا وخرجت من البيت لأتوجه إلى العنوان الذي أرسله والذي يكون في قرية ملاصقة لقريتنا واسمها قرية "الطيبين"، ركبت أول سيارة ظهرت أمامي ووصلت بعد خمس دقائق إلى القرية وأنا أدعو الله أن لا تكون تقية.

عندما وصلت مدخل القرية نظرت حولي لأجد أي شخص لأسأله عن موقع الجريمة بالتحديد لم أجد، دخلت القرية وجعلت أجول ببصري حولي في كل اتجاه لعلي أجد طفلًا على الأقل يدلني ولكن القرية تبدو فارغة تمامًا من أيَّةِ مخلوقات، استمريت في التجول حتى اقتربت من منتصف القرية فوجدت امرأة عجوز تجلس أمام بيتها فتقدمت نحوها متلهفًا كمن وجد الماء في صحراء قاحلة وسألتها عن موقع الجريمة فوصَفَته لي، شكرتها وهرولت نحو المكان الذي وصفته والذي يوجد في نهاية

الشارع الذي يقع خلف بيتها، وصلت أخيرًا ففهمت لماذا لم يقابلني أي إنسان في طريقي فكل من في القرية من رجال ونساء وأطفال مجتمعون في مسرح الجريمة وجميعهم بلا استثناء يبكون بحرارة بوجوه مصدومة متسائلة ينظرون لبعضهم البعض نظرات غير مصدقة، أيعقل أن تكون هي؟ شققت الصفوف بأعصاب ترتعش وقدمين يتحركان بصعوبة من شدة الخوف حتى رأيته أمامي فناديته بصوت مبحوح فنظر لي بوجه متجهم زادني رعبًا وأشار إلى بيت صغير أمامه دون أن ينبس ببنت شفة فنظرت حيث أشار فوجدت أفراد الأمن يلتفون حول البيت ليمنعوا الناس من الدخول فتقدمت نحو بابه فأفسحوا لي الطريق لأدخل، عندما دخلت وجدت البيت عبارة عن غرفة واحدة سقفها خشبي وبها سرير في ركن وحمام في ركن آخر وكنبة صغيرة بجوار الباب وفي منتصف البيت وجدت فريق العمل قابعين

على الأرض ملتفين حول شيء ما يؤدون عملهم في هدوء واعتيادية فاقتربت منهم بخطوات حذرة تخشى التقدم وترغبه في آن واحد. استقرت قدمي أخيرًا إلى حيث يلتفون فأمعنت النظر فرأيت جثة مبقورة بطنها متناثرة أموال كثيرة حولها؛ ورقية وفضية، تكاد تملأ الغرفة بكاملها، اقتربت أكثر فرأيت وجه القتيل فاطمأن قلبي وتنفست الصعداء، لم يكن تقية ولكنه رجل بملامح سبعينية ربما، وجه متجعد وشعر أبيض وملابس رثة في غرفة فقيرة من كل موارد الحياة إلا بعض زجاجات مياه وموقد صغير جدًا من عين واحدة وحوله أدوات صنع الشاي على طاولة صغيرة ملاصقة للسرير، جثوت على ركبتي لأفحص الجثة عن قرب فوجدتها خالية من الدماء كالعادة ولكن مهلًا! ما هذا الذي يخرج من فمه وبطنه؟

الفصل الحادي عشر

"حامد"

أنا حامد، الابن الأصغر لأسرتنا الصغيرة المكونة مِن أمي "راضية" ومن أخي الأكبر حمدان وأنا وزوجته لطيفة اللطيفة كما كنا ندعوها، مات أبي وأنا طفل صغير في الخامسة من عمري وحينها كان عمر أخي ثمانية عشر عامًا، فارق عمرٍ كبير بيننا بالطبع حيث كانت أمي تنجب بصعوبة فأنجبت أخي بعد عامين من زواجها بأبي والذي كان مزارعًا بسيطًا وعانت بعد أخي كثيرًا في محاولات الإنجاب لأنها كانت كلما حملت بطفل يموت سقطًا بعد شهرين أو ثلاثة من حملها به، ولأن أمي كانت ربة منزل وكثرة حملها أضعفت جسدها لم تستطع أن تعمل لتُعيلنا فترك أخي حمدان كليته في سنته الأولى وعمل حارس أمن في شركة

في مدينتنا التابعة لها قريتنا حتى يستطيع إعالتنا، كان يعمل في الفترة المسائية حتى يستطيع نهارًا أن يراعي أرضنا الصغيرة المكونة من ستة قراريط، عندما كبرت قليلًا وعقلت طلبت منه أن أخرج من المدرسة لأعتني بالأرض حتى يستريح هو ويكفيه عمله في الشركة لكنه رفض بشدة وأخبرني أنه سيتركني أتعلم حتى أصبح أفضل منه، في إجازات الصيف لم يتركني أساعده أيضًا وكان يجعلني أذهب للدروس الخصوصية مثل بقية زملائي حتى لا أشعر بالنقص، كان يعتني بي كأنني ابنه ولم أشعر في كنفه باليُتم قط، أصبح حمدان الآن بعمر ال32 وأنا بعمر العشرين وها أنا أدرس في كلية الهندسة في عامي الثالث، منذ عام أصررنا على حمدان أن يخطب فكلما فاتحناه في هذا الموضوع رفض حتى أنهي دراستي ويطمئن علي لكن هذه المرة أخبرته أن هذا يشعرني بالسوء ولا أريده أن

يحيا حياته لأجلي فقط فمن حقه أن يتزوج وينجب، وبعد طول إلحاح مني ومن أمي وافق، كان له صديق يكبره سنًا يعمل عامل نظافة في الشركة فطلب منه يد ابنته لعلمه أنه شخص على خلق وربى أبناءه على التقوى والأخلاق الحميدة، وافق الرجل بترحاب شديد فقد كان يحب حمدان ويعتبره ابنه، اضطررنا لبيع الأرض لنجهز شقة لحمدان فوق بيتنا وبنى لي أنا الآخر شقة فوق شقته، بعد عشرة أشهر من خطبته انتهى من تجهيز شقته وتزوج من تلك اللطيفة وأحبها بشدة في تلك السنة كما لو أنه يعرفها منذ سنوات، كانت تلك أول مرة أرى فيها حمدان سعيدًا بروح طفل كانت قد حبسته المسئوليات عن الحياة التي يستحقها، أحببنا لطيفة جميعًا فقد كانت اسمًا على مسمى، عشنا سعداء منذ تزوجا وأصبحت لطيفة مدللتنا بعد أن كنت أنا الابن المدلل الوحيد لأسرتنا الصغيرة، كنا نأمل أن تنجب

سريعًا طفلًا يملأ بيتنا بهجة ونغدقه بالتدليل والمحبة، بالفعل حملت لطيفة وعرفنا بخبر حملها في الليلة التي صبيحتها أول يوم دراسي لها، لم تسعنا الفرحة وسهرنا لمنتصف الليل نختار اسمًا للطفل ونحتفل بهذا الخبر المبهج الذي كنا نتوق له ولكن لم تطُل فرحتنا كثيرًا! فما هي إلا سويعات ووجدناها جثة هامدة ملقاة بين الأحراش في طريق عودتها لبيتنا، لم يتحمل حمدان ما رآه وفقد وعيه كما فقد زوجته وجنينه وتحطمت آماله، فجأة تحولت أنا من طفل مدلل إلى رجل يحمل على عاتقه أكبر مسئولية قد يتعرض لها في حياته ألا وهي مسئولية أخي الذي لم يتحمل الصدمة فدخل في غيبوبة جعلته طريح الفراش مكبلًا بالأجهزة في غرفة العناية الفائقة لا نعلم هل سيفيق أم لا، ومسئولية أخرى وهي كيف سأخبر أمي التي كانت سعيدة للغاية أنها وأخيرًا حصلت على ابنة، كيف سأخبرها أنها

فقدت ابنتها وحفيدها الذي كانت تأمل أن تحيا لتراه وتحمله بين يديها؟ بل كيف سأخبر والدي لطيفة اللذان أخبرناهما بالأمس أنه سيصبح لديهما حفيد عما قريب أنهما فقدا ابنتهما الكبرى وحفيدهما معًا بهذه الطريقة البشعة؟

عدت للبيت أجر أقدامي جرًا بعدما عرفت حالة أخي وأخبرني الضابط أنهم سينتظرون نتيجة التشريح وبعدها يسمحون لنا بدفنها، وصلت البيت يومها وأنا أشعر بأن جبال الأرض كلها جاثمة فوق صدري من شدة الهم، وجدت أمي تنتظرني أمام البيت ومعها أسرة لطيفة والذين قد أتوا ليباركوا لها حملها فوجدوا أننا ذهبنا لنبحث عنها، كان الجيران يلتفون حولهم يهدئون من روعهم في محاولات غير مُجدية لطمأنتهم أنها ستعود، عندما رأتني أمي قادمًا على بعد أمتار منها هبت واقفة من جلستها

وهرولت ناحيتي فتبعها والدي لطيفة والجيران وسألتني أمي في لهفة: لماذا عدت وحدك؟ أين أخوك وزوجته؟ هل وجدتماها؟ لمَ لا تجيبني؟

خانتني دموعي فانسكبت مدرارًا فصرخت أمي وأم لطيفة فسألني أبوها بصوت مبحوح يكاد يخرج من حلقه: لماذا تبكي؟ هل أخوك وابنتي بخير؟

نظرت له بوجه يملؤه الأسى وقصصت عليهم بصوت جريح وقلب يتمزق ما حدث منذ خرجت أنا وحامد للبحث عنها حتى لحظة عودتي إلى البيت، لم يتحمل الرجل الصدمة فسقط مغشيًا عليه هو وأمها، نقلناهما للوحدة الصحية فصُدمنا بقول الطبيب: عظم الله أجركم، ماتت المرأة وأصيب زوجها بجلطة في القلب ويجب نقله إلى المستشفى العام على

الفور، لقد هاتفت سيارة الإسعاف وهي في طريقها إلى هنا الآن.

أتت سيارة الإسعاف وأخذت والد لطيفة إلى المستشفى وتطوع أحد الجيران وذهب معه وذهبت أنا لأنهي إجراءات تصريح الدفن لأم لطيفة، انتهيت من الإجراءات وأخذنا الجثمان إلى بيتنا فغسلناها وكفنَّاها ودفنَّاها في مدفننا حيث أنها لا أقارب لها ولا لزوجها.

انتهى اليوم وانصرف المعزيين وتركونا وحدنا أنا وأمي وأخوة لطيفة الصغار؛ أحمد ومحمد ومحمود الذين في يوم واحد فقدوا أختهم الكبرى وأمهم وربما يفقدون أباهم أيضًا، الأولاد ما زالوا صغارًا أكبرهم في عمر الثالثة عشر وثانيهم في عمر الحادية عشرة وأصغرهم عمره تسع سنوات، كيف سيتحمل هؤلاء مسئولية أنفسهم إن مات أبوهم؟ إنهم مذهولون لا يفهمون ما يجري حولهم ولا

يستطيعون استيعاب أين ذهب أبوهم وأمهم وأختهم، أخذتهم في حضني وأخبرتهم بهدوء بأمر وفاة أمهم وأختهم ومرض أبيهم وأخي اللذان لم يتحملا خبر فقدان لطيفة، وبالطبع لم أخبرهم بكيفية موت لطيفة حتى لا يصابون بمرض نفسي لا يبرأون منه قط، بكى الأطفال بحرقة فتركتهم يخرجون ما بداخلهم من أحزان حتى لا يضرهم كبتها فيما بعد، عندما رأتهم أمي انفجرت دموعها التي حاولت كبحها طيلة اليوم حتى تستطيع تغسيل المرأة وأخذ عزائها، لم أتمالك دموعي أنا الآخر فتركتها تنساب بهدوء دون صوت وما زلت أحتضن الصغار حتى هدأوا وناموا فأخذتهم إلى غرفتي ووضعتهم في السرير ونمت بجوارهم بعد أن اطمأننت أن أمي ذهبت للنوم هي الأخرى.

في الصباح طلبت من أمي أن تعتني بالصغار وتوجهت إلى المستشفى لأطمئن على أخي

وعلى العم ضياء والد لطيفة فوجدتهما في نفس غرفة العناية وقد أذابوا الجلطة للعم ضياء لكنه لم يستفق بعد وكذلك حمدان ما زال وضعه كما هو، أحضرت الأدوية التي طلبها الطبيب لهما وطلب مني أن أذهب فلا داعي لوجودي، أعطيته رقمي ليخبرني إن جد جديد في حالتيهما وذهبت إلى مركز الشرطة لأسأل عن متى سيصرحون لنا بدفن لطيفة، عندما وصلت وسألت عن الضابط أخبروني أنه ذهب للتحقيق في جريمة قتل أخرى، انتظرته حتى عاد ولكني لم أستطع مقابلته قط لأنه انشغل بالتحقيق في تلك القضية وبعدها خرج ومعه رجل فلم أستطع محادثته أو الانتظار أكثر فعدت للبيت وعزمت على أن أعود في اليوم التالي لكن انشغلت في أمر العم ضياء حيث أخبرني الطبيب أنه أفاق فذهبت لأطمئن عليه فوجدته قد فقد النطق ولا يستطيع الحراك وتم نقله لغرفة عادية فبقيت معه طيلة اليوم مرافقًا

له حتى الصباح فأخبرت أمي أن تأتي لتعتني به ريثما أذهب لمركز الشرطة فاليوم هو ثالث يوم مر على مقتل لطيفة.

وصلت مركز الشرطة قرب الظهر فقد انتظرت مجيء أمي ومعها الصغار وانتظرنا موعد الزيارة وأدخلتها لتطمئن على حمدان والتي لم تتمالك دموعها عندما رأته طريح الفراش ذلك الشاب الذي كان يعمل ليل نهار بكل نشاط ولم تكتمل سعادته، عندما وصلت مركز الشرطة وجدت أن المركز مليء بالبشر فسألت أحدهم عما هنالك فبدأ يقص علي الحكاية وقال: ....

الفصل الثاني عشر

"مرعي"

هل يُعقل أن يحيا الإنسان عمره كاملًا في كذبة؟ لماذا نكذب؟ أمن أجل دنيا نعلم يقينًا أنها مهما طالت ستفنى؟ أم من أجل المال؟ وما فائدة المال إن لم نستمتع به سواء بأن نقضي به كل احتياجاتنا أو بأن ننفق منه في سبيل الله فيبقى لنا بعد وفاتنا؟ لماذا نكذب وندَّعي الفقر والفاقة ونستغل عطف الناس فننهب أموالهم التي هم أحوج إليها ورغم ذلك يؤثرون على أنفسهم؟ لماذا نترك القلوب يتخللها الشك وتفقد ثقتها في كل الناس بعد ذلك؟ كيف يكون شأن الشخص بالنسبة إليه أهم من شئون من حوله رغم أنهم اهتموا لشأنه هو أكثر من شأنهم؟ هل يعقل أن كل من حولي، كل هذه

الوجوه هي أقنعة مزيفة وجميعهم كذابون؟ يا الله! كيف سأثق بأي أحد بعد هذا؟

كنت جالسًا في ركن في مركز الشرطة أمام غرفة ضابط المباحث أنتظر دوري في التحقيق معي في قضية مقتل العم صادق وقد أخذني الذهول مما حدث فجعلني أفكر في كل هذا حتى كدت أُجن من كثرة التفكير وشدة الغيظ ولكن أنقذني من تفكيري صوت شاب حديث السن يسألني عن سر هذا الزحام فنظرت إليه متفحصًا فإذا به شاب نحيف متوسط الطول وسيم غض العود وعلى ما يبدو أنه مدلل نوعًا ما لكن عندما نظرت إلى وجهه رأيت عينين منتفختين يلتحفهما سواد أسفل الجفنين يبدو أنه قد احتلهما منذ مدة قصيرة، كان وجهه ينم عن حزن عميق وشتات، وقد صدق حدسي عندما سألته عمن يكون ولماذا هو هنا فأخبرني بقصته الأسيفة والتي أعتقد أنها

أبشع من قصتي بكثير، سألني بدوره مجددًا عن سبب وجودي وسر الزحام الذي يملأ مركز الشرطة من الداخل والخارج فتنهدت بعمق لأخرج بعض ما بداخلي من أسى وقلت له قاصًا عليه ما حدث: قد أخبرتك أن اسمي مرعي ولكن لم أخبرك أنني أعمل مدير مدرسة ابتدائية في قرية مجاورة لقريتي....

قاطع حديثي متسائلًا: لماذا لا تعمل في مدرسة قريتك؟

يا لهذا الفتى الغض المتسرع، لا أحب أن يقاطعني أحد ولكن لا أعلم لمَ لم أغضب كعادتي فهذا الفتى يأسرني! كظمت غيظي وتابعت: إن قريتي صغيرة للغاية ولا يوجد بها أي مصلحة حكومية، نحن تابعون للقرية المجاورة ونذهب إليها من أجل كل ما نحتاجه من مدارس

وخدمات، قريتنا صغيرة ويعيبها أنها ليس بها أي خدمات ولكن يميزها أننا جميعنا نعرف بعضنا البعض جيدًا وبيننا مودة وألفة كأننا أسرة واحدة ودائمًا متحدون ونُعين بعضنا البعض على أمور حياتنا، منا الموظف ومنا المزارع ومنا الشباب الذين أنعم الله علينا بهم وقد التحقوا بكليات هامة كالطب والهندسة والزراعة والشريعة وغيرها من الكليات التي نحتاج إليها في أمور ديننا ودنيانا وهذا قد يجعل قريتنا تتقدم ونكتفي ذاتيًا ولا نحتاج للقرى المجاورة في شيء فكلنا نحب القرية ونرجو أن تصبح أفضل، قريتنا اسمها الطيبين وربما اختار لها الأقدمين هذا الاسم لأنه يعبر عن صفة أهلها الغالبة عليهم والتي نفتخر منذ نشأتها إلى الآن أنها اسم على مسمى ولكنني الآن وأقولها بقلب حزين يعنصره الألم أن يا ليتنا ما كنا طيبين مطلقًا.

تعجب الشاب وسألني: لماذا تقول ذلك؟ لقد أحببت قريتكم بمجرد حديثك عنها دون أن أعرفها عن قرب فلماذا تكرهها أنت؟

طأطأت رأسي محاولًا حجب عَبرة كادت تسقط من عيني حتى لا يراني هو أو أي من أهل القرية المنتشرون حولي ثم بعد برهة رفعت رأسي وأكملت حديثي: منذ خمسة عشر سنة أتانا رجل رث الثياب، ضعيف البنية، لا يملك من حطام الدنيا شيئًا، كان يذهب كل يوم إلى قرية يتسول فيها ويعطيه أهلها ما يقدرون عليه من مال أو حبوب أو طعام، ظل يأتي قريتنا لأشهر في كل أسبوع مرة حتى ألفناه واعتدنا مَقدمه، كان طيبًا ودودًا ولا أكذب لو قلت أن الكل أحبه واعتبرناه صديقًا لنا حتى أن الأطفال أحبوه وكانوا يساعدونه في جمع الصدقات ويلعبون معه، ذات يوم وجدنا مجتمعين عند بيت شيخ البلد نناقش أمرًا ما

من أمور القرية فأجلسناه معنا وتناولنا الطعام، ونحن جلوس نشرب الشاي سألناه عن أصله وقريته فأخبرنا أنه لا يعرف أصله فكل ما يتذكره أن والديه كانا غريبين عن المحافظة وقد استأجرا بيتًا صغيرًا في مركز مجاور لمركزنا وعاشا فيه يتسولان قوتهم حتى توفاهما الله وتركاه وهو صغير فانتهج نهجهما وأصبح يتسول قوت يومه، لم يستطع أن يتزوج لشدة فقره وأصبح ينتقل من بيت لبيت لعدم قدرته على دفع الإيجار فيتم طرده حتى ترك المركز نهائيًا وأتى إلى مركزنا وتكرر نفس الأمر وهو الآن يبيت في الشارع لعدم مقدرته على دفع الإيجار لأن ما يُحصله جراء التسول لا يكفي معيشته ولا أدويته وقد أصبح الإيجار مرتفعًا جدًا هذه الأيام.

سأله أحدنا لماذا لم يحاول العمل في شبابه أو تعلم حرفة ما فأخبرنا أنه شب فوجد أبويه يتسولان فسار على نهجهما ولا يعرف أي

شيء سوى ذلك وهو الآن نادم على أنه أضاع عمره دون أن يمتهن مهنة ثابتة لربما استطاع أن يتزوج ويُكون أسرة.

بعد هذا الحديث تركنا ليكمل تسوله ولنكمل نحن نقاشنا والذي تحول كله ليصبح عنه وحده، أشفقنا عليه مما هو فيه وكان قد اقترب الشتاء وبعد نقاش قررنا أن نبني له بيتًا صغيرًا في منتصف القرية، جمعنا المال من كل بيت في القرية وبنينا له بيتًا صغيرًا عبارة عن غرفة واحدة وحمام ولم نستطع أن نجعل له سقفًا خرسانيًا فجعلناه من خشب فحالتنا المادية لا تسمح بأكثر من ذلك، جهزنا له البيت ووضعنا فيه أثاثًا بسيطًا ثم في الأسبوع التالي وفي يوم زيارته للقرية انتظرناه عند مدخل القرية واصطحبناه لبيته الجديد والذي عندما رآه بكى واحتضننا جميعًا وشكرنا على صنيعنا، كنا قد تبرعنا له بثياب جديدة وكل عام

كنا نجمع مالًا ونشتري له كسوة الصيف وكسوة الشتاء، كذلك كان كل بيت في القرية يتكفل بإطعامه يومًا، وكنا نرسل له زكاتنا وصدقاتنا حتى أننا كنا نهتم به أكثر من أنفسنا، حتى أنه عندما يمرض نجمع مالًا من بعضنا ونتكفل بعلاجه حتى يشفى، ترك التسول في قريتنا فلم يعد بحاجته فنحن من أصبحنا نرسل له كل شيء ولكنه لم يتركه خارج القرية وكنا نتعجب من ذلك فنحن قد يسرنا الله لكفايته أمر كسوته وطعامه وعلاجه فلماذا قد يحتاج إلى التسول وهو لا يحتاج المال؟ لم نفكر في الأمر كثيرًا وتركناه يفعل ما يحلو له فربما لأنه اعتاد ذلك فلم يقدر على تركه بسهولة، خمسة عشر عامًا وهو يحيا بيننا يتسول ونحن نتكفل به حتى هذا الصباح الذي لم يمر علي صباح أفظع منه قط.

لم أستطع استكمال الحديث فصمتُّ محاولًا استجماع بقاياي فسألني حامد بفضول شديد: لماذا سكت يا أستاذ مرعي؟ ماذا حدث هذا الصباح؟ أرجوك أكمل.

ما به هذا الشاب يجبرني دون وعي مني على أن أقص عليه كل شيء وكأنه سلبني لُبي وقلبي؟ تنهدت ثم أكملت لأشبع فضوله: كان اليوم هو دوري أنا في إطعام العم صادق، نسيت أن أخبرك باسمه والذي كنا نظنه اسمًا على مسمى، في الصباح أخذت طعام الإفطار وتوجهت إلى بيته لأعطيه إياه قبل أن أذهب إلى مدرستي فهكذا أفعل دومًا، طرقت الباب لم يُجبني، طرقته أكثر من مرة فلم يُجب، تساءلت في نفسي هل ذهب مبكرًا للتسول هذا اليوم؟ يستحيل هذا؛ هو دائمًا يذهب بعد الظهر، هاتفت شيخ البلد وأخبرته بالأمر فتعجب لذلك خاصة أن بيته في مدخل البلدة ويرى من يدخل

ويخرج إليها فهو معتاد على أن يصلي الفجر ويجلس في مدخل بيته يذكر الله حتى السابعة صباحًا والساعة الآن السادسة فلو كان العم صادق قد خرج من القرية لرآه، طلبت منه أن يحضر المفتاح الاحتياطي لبيت الرجل والذي كنا قد تركناه معه وقت أنشأنا البيت لمثل هذه الظروف لأنه رجل وحيد وربما يمرض أو يموت ولا يشعر به أحد فنستطيع أن نفتح بيته بهذا المفتاح ونطمئن عليه عند الطوارئ، بالطبع لم نخبره بذلك قط حتى لا يشعر بعدم الأمان، أتاني شيخ البلد وفتحنا الباب ودخلنا فتفاجأنا بما رأيناه....

لم أتمالك دموعي فبكيت فوضع حامد كفه على رأسي يربت عليه حتى هدأت قليلًا ثم تابعت: لقد وجدنا الرجل مُثجى على الأرض بطنه مفتوحة وقد أخرج القاتل أحشاءه الداخلية وقطعها ونثرها حول جثته ثم حشى بطنه

بأموال ورقية كثيرة حتى فاضت خارجها وحشى فمه بعملات معدنية حتى انتفخ فمه من كثرة ما به من أموال، كانتا عيناه جاحظتان وتبدو على ملامحه أمارات الرعب الشديد، كان هذا أصعب منظر رأيته في حياتي ولكن الأصعب منه هو ما وجدناه حوله! لقد وجدنا الغرفة مليئة برُزم من الأموال الورقية مرصوصة على أرضية الغرفة هي وعملات معدنية لا حصر لها، لقد هالني ذاك المنظر، من أين له بكل بتلك الأموال؟ أيعقل أنه كان يخدعنا كل هذه السنوات ويتصنع الفقر وهو يمتلك كل هذه الأموال التي لا حصر لها؟ إننا جميعًا فقراء وكنا نقتطع من قوتنا لنعطيه، نحرم أنفسنا وأولادنا لنعطيه وهو يكتنز كل هذه الأموال ولا يكترث لنا!

كان ذهول حامد لا يقل عن ذهولي وكاد أن يتحدث لكن منعه صوت العسكري يناديني

للتحقيق معي، تركته وتوجهت نحو غرفة الضابط وفور أن دلفت إليها سألني الضابط والرجل الذي معه أسئلة عديدة باعتبار أنني أول من اكتشفت الجريمة حتى خشيت أن يتهماني أنني القاتل ولكنهما أطلقا سراحي في النهاية فخرجت مسرعًا لأعود لبيتي لعلي أستريح قليلًا من عناء التفكير. رأيت حامد وأنا في طريقي للخروج من المركز وهو متأهب ليستوقفني لكنني لم أستطع التوقف فشيء ما بداخلي يحركني لأعود للبيت دون تلكؤ حتى أنني لم أصبر لأنتظر معرفة مصير التحقيق والجثة ولا لأعرف ما وصل إليه أمر جثمان لطيفة.

الفصل الثالث عشر

"حامد"

كم هي غريبة تلك الحياة؛ بالأمس القريب كنت مدللًا لا أدري عن شقائها شيئًا، وها أنا اليوم دون سابق إنذار وقع على عاتقي مسئوليات وهموم لا حصر لها، ليس فقط مسئولية أخي الذي أصبح بين عشية وضحاها بين عالمين لا هو من عالم الأحياء ولا من عالم الأموات، ولا مسئولية العم ضياء وأولاده الثلاثة فحسب، ولا حتى مسئولية جثمان لطيفة الذي لا أعلم مصيره حتى الآن، لأن مسئوليتي تخطت كل ذلك بكثير.

عندما سمعت قصة العم صادق شعرت أن العالم مليء بالسوء وأنا الذي كنت أظن أن ظاهر البشر مثل باطنهم لا يكذبون ولا

يخدعون، لكن ليس هذا هو فقط ما أذهلني لدرجة كبلت لساني ولم أستطع حينها سؤال الأستاذ مرعي عن أدق التفاصيل، بل إن ما أثار دهشتي هو أن الرجل قُتل بنفس الكيفية التي قتلت بها لطيفة ما عدا فصل الرأس وبعض الاختلافات البسيطة! هل يعقل أن يكون القاتل هو نفسه في الحالتين؟! لو أن المرأة المسماة نعمة قتلت بنفس الهيئة لقلت أن هناك سفاحًا يفعل ذلك.

انتظرت بشغف خروج الأستاذ مرعي من غرفة الضابط لكنه خرج متعجلًا يحث خطاه كأنه يهرب من مركز الشرطة، ترى ماذا دهاه؟!

حاولت أن أسأل أي شخص من الواقفين عما حدث لكنهم جميعهم لم يزيدوني شيئًا عما قاله أستاذ مرعي، مر الوقت بطيئًا بينما أنتظر نهاية تلك التحقيقات لأدخل للضابط أسأله عن لطيفة. بعد ما يقرب من الخمس ساعات انصرف الناس وانتهى التحقيق فهرولت

مسرعًا نحو الغرفة أطلب من العسكري أن يستأذن الضابط لأدخل عليه قبل أن يخرج كعادته، دخل العسكري ولم يلبث إلا ثوانٍ ثم خرج وأخبرني أن الضابط أُرهق من التحقيقات ولا يستطيع مقابلتي الآن. وجف قلبي وشعرت أن الضابط يتهرب مني فطلبت من العسكري أن يدخل مجددًا يخبره أن الأمر ضروري فرفض، لم أتمالك نفسي فجعلت أنادي الضابط ليأذن لي والعسكري يحاول منعي حتى خرج الرجل الذي أراه دومًا مع الضابط وأذن لي بالدخول، من يكون هذا؟

عندما وقفت أمام الضابط لم يعاتبني على إصراري وطلب مني أن أجلس فجلست مقابله وجلس الرجل الآخر أمامي ونظرا إلي مستفهمين عن سبب رغبتي في مقابلة الضابط بهذه اللهفة فقلت موجهًا كلامي للضابط:

سيدي الرئيس، أرجو أن تعذرني على ما بدر مني، لكن هذه ليست المرة الأولى التي آتي

فيها إلى هنا وأحاول مقابلتك، كل مرة أجد أنك مشغول في التحقيق في جريمة ما ولكنني لن أشغل حيزًا كبيرًا من وقتك، فقط أردت أن أعرف هل ظهرت نتيجة التشريح الخاصة بجثمان زوجة أخي أم لا، ومتى أستطيع استلام جثمانها لأدفنها؟

نظر الضابط إلى الرجل الآخر نظرات متحيرة لم أفهم ماذا تعني لكن يبدو أن هناك خطب ما مريب، انتظرتهما أن يجيباني ولم يفعلا فتساءلت مجددًا بقلب واجف: هل هناك خطب ما في نتيجة الفحص الجنائي؟ ماذا حدث سيدي؟ أرجوك أجبني.

نظر إلي الضابط نظرات حزينة ثم أخفض رأسه ولم يرد فقال الرجل الآخر: نعلم أنك من حقك أن تطمئن على نتيجة الفحص، ومن حقك

أيضًا أن تدفن زوجة أخيك لكن يجب أن يتسلمها زوجها أو أبوها أو أخوها فقط.

أخبرته في عجالة ما حدث لأخي ولأهل تقية منذ سمعوا خبر وفاتها وأنه لا يوجد أحد غيري في العائلة يستطيع تحمل تلك المسئولية فوجدته قد ارتبك هو والضابط وأخذا ينظران لبعضهما البعض ثم ينظران إلي كما لو أنهما وقعا في مأزق ويبحثان عن مخرج فسألتهما: ما الأمر؟ ما الذي تخفيانه عني، أرجوكما أخبراني بالحقيقة، الأمر لم يعد يحتمل مزيدًا من الغموض.

خنقتني دموعي وأنا أتحدث وكادت تنهمر فتحولت نظراتهما إلى نظرات عطف وشفقة فنطق الضابط أخيرًا وقال: إن الجريمة التي نحقق فيها اليوم هي رابع جريمة تحدث في

نفس الأسبوع، الظاهر لنا ومن خلال شواهد التحقيقات أن القاتل واحد في الجرائم الأربع، طرق القتل مختلفة في كل جريمة ولكن هناك عناصر مشتركة بينهم ألا وهي أدوات القتل وما يحدث للجثة بعد مدة من القتل.

شعرت بخدر يسري في أعصابي وكدت أفقد الوعي عندما سمعت آخر جملة قالها، ماذا يقصد يا ترى؟ حاولت أن أسأله عما يعنيه ولكن الكلمات لم تسعفني فرأف بي وتابع:
يؤسفني أن أخبرك أن القاتل يضع في كل جثة مادة كيميائية تجعلها بعد وقت معين تنفجر وتحول الجثة إلى فُتات يختلف فيها العظم واللحم كأنها قد طُحنت طحنًا، هذا الأمر قد حدث في كل الجثث عدا جثة نعمة لأنه مزقها بالفعل بنفسه، هذه المادة لم تترك مجالًا لفريق التحقيق الجنائي والطب الشرعي ليقوموا

بتشريح الجثة لذا لا يوجد تقرير بين أيدينا نستطيع أن نعرف منه ما يدل على القاتل.

ماذا؟ ماذا يقول هذا؟ لم يعد هناك جثة! لطيفة، تلك الفتاة البريئة الصغيرة أصبحت في خبر كان! تركت دنيانا بهذه البشاعة وهي التي لم تظلم أحدًا قط! ماذا جنت هذه الفتاة ليقتلها هذا القاتل الشيطاني بهذه الطريقة التي لا تخطر إلا ببال إبليس؟ ماذا سأقول لأمي التي تنتظر أن تكفنها بيديها؟ ماذا سأقول لأبيها الذي شُل جسده فقط عندما علم بطريقة موتها؟ ماذا سيحدث له عندما يعلم ما آل إليه جثمانها؟ وكيف سأخبر إخوتها الصغار الذين في بداية تعرفهم على العالم من حولهم أن هذا العالم به أناس حملت قلوبهم قسوة لدرجة أن يفعل أحدهم بفتاة صغيرة هذه الفعلة؟ كيف سيطمئنون لهذا العالم بعد الآن؟ بل ماذا سأقول لحمدان عندما يفيق من غيبوبته؟ هل سيتحمل

هذا الخبر أم سيقتله هذه المرة؟! يا الله!
امنحني القوة والصبر لأتحمل توابع هذا الأمر.

ناداني الضابط فأخرجني من دياجير تفكيري ونظرت له بعينين تكادان لا تريا من شدة ما امتلأتا بالدمع؛ دمع حرقة وغيظ وحيرة، شعر الضابط أنني في عالم آخر فكرر نداءه وقال: أقدر ما تشعر به لكن أود إخبارك بأمر هام فأرجو أن تصغي إلي جيدًا.

أومأت له برأسي قائلًا: أنا كلي آذان مصغية سيدي، ما الذي تود قوله؟

تغيرت نبرة صوته من العطف إلى الجدية البالغة وقال: ما أخبرتك به في غاية الخطورة وهو سري للغاية وهناك تعليمات بعدم إخباره لأحد حتى لا يتسرب إلى الصحافة وتحدث بلبلة

ورعب بين الناس، لقد أخبرتك فقط لما ارتأيته فيك من حكمة وصدق، كما أن خوفك ولهفتك جعلاني أضطر لإخبارك؛ لذا يجب أن تفهم جيدًا أن ما أخبرناك به ينبغي ألا يعلم به أحد خارج جدران هذه الغرفة، ولا داعي لإخبارك ماذا سيحدث لك إن تسرب الخبر.

شعرت بأن نبرته تحولت لتهديد خفي، سرت قشعريرة رهبة في جسدي فنظرت له بعيون تملكها الرعب وقلت بصوت مرتعش: لا تخش شيئًا يا سيدي، لن أخبر أحدًا مطلقًا للأسباب التي ذكرتها وأيضًا لأن أهل بيتي لن يتحملوا وقع الخبر عليهم، لكن لا أدري بمَ سأخبرهم عندما أعود؟

تحدث الرجل الآخر الذي يبدو عليه أن به رزانة وحكمة لا توصف: أخبرهم أن الشرطة

قامت بدفنها عندما علمت بما حدث لأهلها حتى لا يسبب تسليم الجثة لكم مزيدًا من الألم وتبعاته.

اقتنعت برأيه وشكرتهما واستأذنت بالخروج وتركتهما وذهبت ولا أدري إلى أين سأذهب؟

أطلقت لقدمي العنان وتركتهما يذهبان بي حيث شاء لهما الله، كنت أسير شاردًا وقد سمحت لعيني أن يسترسلا في الدمع لعل دمعهما يخفف قليلًا مما يحمله قلبي من ثِقل، مشيت مسافة طويلة لا أدري مقدارها، بينما أنا أمضي في طريقي إذ سمعت صوتًا آتيًا من خلفي يناديني لأتوقف فتعجبت من قد يكون هذا الذي يعرف اسمي؟ استدرت للخلف ونظرت فإذا به أستاذ مرعي، كان جالسًا على كرسي على جانب الطريق فعدت أدراجي وجلست بجواره دون أن أتفوه بكلمة ناظرًا أمامي في

شرود فسألني: لماذا تبكي يا ولدي؟ هل قابلت الضابط؟

أومأت برأسي للأسفل أن نعم ولم أنطق فتابع: يبدو أنه قال لك شيئًا شق على نفسك حتى أبكاك بهذا الشكل، هل ظهر التقرير الجنائي؟

لم أعرف ماذا أفعل؟ هل أخبره وأزيل هذا الحمل عن كاهلي عله يشاركني التفكير أم أصمت حتى لا يؤذيني الضابط؟ أخبرته بعد صراع داخل نفسي لم يدم لثوانٍ بما أخبرني به الضابط بالتفصيل فتعجب وقال: هذا يعني أن القاتل سفاح ولن يتوقف عن قتل المزيد! ماذا لو علم بما عرفناه أنا وأنت؟ أخشى أن يقتلنا نحن أيضًا.

نظرت له مندهشًا مما قاله فهذا لم يخطر ببالي قط فقلت له مطمئنًا: لن يعرف شيئًا، اطمئن فالأمر سري كما أخبراني.

سألني مجددًا بعد أن اطمأنت نفسه: وماذا ستفعل الآن؟ هل ستخبر أهلك بما جرى، أم ستخبرهم بما أخبرك به الرجل الآخر؟

صمت لبرهة ثم قلت: سأقول لهم كما قال، لا أريد أن أفزعهم، كما أنني أريد أن يطمئن القاتل أن لا أحد يعرف عنه شيئًا حتى أستطيع تنفيذ خطتي.

سألني بفضول وحيرة: خطتك! ما هي خطتك؟ ماذا تنوي أن تفعل؟

أجبته وأنا أنهض من جلستي لكي أذهب:
سأبحث عنه بنفسي.

الفصل الرابع عشر

"تقية"

هذا الشيء الذي يسمي نفسه سفير التطهير لم أجد وصفًا له أبلغ من كلمة شيء؛ فمثله لا يمكن أن يكون إنسانًا، بل لا أظن أن الشياطين قد يفكرون في مثل فِعاله تلك، نعم يوسوس لنا الشيطان لنرتكب الذنوب والمعاصي وخاصة الكبائر منها بل ويزينها لنا ويجعلنا نوقن أننا على حق وأن ما نفعله هو الخير المبين، ولكن النفس الأمارة بالسوء هي أكبر عدو للإنسان ومهلكته، فهذا الشيء ظل يحاول إقناعي بأن أفكاره ستغير الكون وتطهره من دنس الظالمين، وأن الله خلقه ليخلص الناس من شرور ظالميهم الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، العجيب أنه مقتنع بهذا ويرفض أن يتوقف، بل الأعجب أنه واثق بنفسه لأبعد

الحدود ويصف نفسه بالعبقري الفذ الذي استطاع بكل ذكاء أن يطهر الأرض ممن قتلهم دون أن يلوثها بدمائهم الدنسة، لم أقتنع بأفكاره تلك ولن أقتنع فأخبرني بما يقول عنه آخر إنجازاته عندما قتل الرجل المسمى صادق، حقًا إن ما فعله صادق في حياته ليس بهين وأعتبره سرقة ونصب وخداع ولكن لماذا القتل؟ كان يستطيع أن يخبر الشرطة وهي تقبض عليه بدورها ويُعرض للمحاكمة وتُصادر أمواله، لا أدري لماذا يصر على أن يكون القاضي والجلاد في آن واحد، لم يقتنع برأيي بالطبع فغضب وتركني وذهب بعد أن أغلق الباب خلفه بالمفتاح كما اعتاد وأطفأ مصباح الغرفة وتركني للظلام مجددًا، يا له من أحمق فظ!

بعد أن ذهب هذا الشيء نمت من فوري من شدة الوهن وما استيقظت إلا فجرًا على صوت

أذان قادم من بعيد فتوضأت وصليت الفجر وجلست في مصلاي أتلو أذكاري، بعد أن أنهيتها نهضت من مجلسي ورقدت في السرير لأنام قليلًا ولكنني انتبهت لشيء ما لم أنتبه له من قبل! لقد سمعت صوت الأذان! أيعني هذا أننا في منطقة سكنية أو بالقرب منها! لقد أخبرني أن البيت في مكان منعزل وليس حوله بيوت ولن يسمع صوتي أحد إن حاولت الصراخ! كيف إذًا ومن أين أتى صوت الأذان هذا؟! أثناني التفكير عن النوم في محاولة لإيجاد طريقة للهروب من هذا المكان الموحش، بينما أنا غارقة في بحر تفكيري إذ بالغرفة قد أنيرت فعلمت أنه قادم فنهضت من رقدتي وجلست في السرير، نظرت حولي نظرات خاطفة سريعة لعلي أجد ثغرة في الغرفة، بعد ثوانٍ دلف إلى الغرفة وأغلقها خلفه، اقترب مني وجلس على طرف السرير من نهايته ومد يده إلي بالطبق الذي كان

يحمله وزجاجتي مياه ورغيفي خبز، أمسكت الطبق فوجدته عبارة عن إفطار يتكون من خضار مسلوق مع فطر ممزوج بالفطر محشو بالفطر ومغطى بالفطر! نظرت للطبق ببلاهة ثم قلت له بسخرية: لقد نسيت أن تضع فطرًا في الخبز والمياه أيضًا.

قال باندهاش: أتمزحين أم أنت جادة؟

قلت بعصبية وأنا أضع الطبق جانبًا: بل أسخر وأستنكر، ما كل هذا الفطر؟ ألا يوجد طعام في الكون سوى الفطر؟

قال ببرود: بل يوجد، لقد وضعت فلفل وجزر وطماطم وبطاطس وكوسة، أليس هذا كافيًا أيتها الطماعة؟

نظرت له بغضب وأجبته: لست طماعة، أنا لا آكل الفطر مطلقًا، وأين هو هذا الخضار؟ إن كميته مقارنة بكمية الفطر ككمية الملح الذي يوضع في قدر كبير من الطعام، ولماذا مسلوق! هل أنا في مستشفى؟ أم هل تظن أنني أتبع نظامًا غذائيًا لإنقاص الوزن؟

زفر بضيق وقال: كفاكِ ثرثرة، ألا تشبعين من الثرثرة قط؟ الأكل مسلوق يا حمقاء لأنك مريضة، والفطر كثير يا حمقاء لأنك حامل وتحتاجين إلى بروتين وأيضًا بحاجة فيتامين د ولكي تحصلين عليه من الطعام يجب أن تتعرضي للشمس بعد تناوله ليتفعل ولكنك هنا لا تتعرضين للشمس وربما لن ترينها أبدًا لذا اخترت لك الفطر خصيصًا لأنه يقم بتفعيل الفيتامين وحده قبل دخوله الجسد إن تعرض للشمس نصف ساعة وقد عرضته للشمس وبذلك تستفيدين من كل فوائده، ولا شيء هنا

اسمه لا آكل هذا ولا ذاك فأنت لست في فندق، ما أقدمه لك تناوليه في صمت أو اتركيه وتضوري جوعًا.

يا لهذا الشيء المتسلط، ولكن لأنني حمقاء كما قال لم أستطع الاعتراض لأنني أشعر بالوهن وأريد أن أحتفظ بطاقتي لأتمكن من الهرب، سألته وأنا أتناول الطعام مجبرة: لماذا أنت متيقن هكذا بأنني حامل؟

أجابني ببرود: لست متأكدًا ولكنني أرجو أن تكوني كذلك.

تعجبت مما قاله فسألته: لماذا تود ذلك؟

لكنه تجاهل سؤالي وقال: عندما أعود في المساء سأحضر لك جهاز اختبار الحمل لتتأكدي بنفسك، والآن ما قياس نظاراتك لأحضر لك واحدة ريثما أجد نظاراتك.

شعرت بالحنق لتجاهله الإجابة عن سؤالي ولكن أظهرت عدم الاهتمام، أخبرته بقياس نظاراتي وكنت قد أنهيت لتوي إفطاري فأخذ الطبق ونهض من جلسته وتوجه نحو الباب ليخرج فناديته فتوقف دون أن يستدير لي فقلت: أرجوك اترك المصباح مضاءً، تكفيني العزلة عن العالم فلا تجعل الغرفة كالقبر تمامًا هكذا.

لم ينطق بكلمة ولم يستدر وأكمل طريقه فخرج وأغلق الباب خلفه بالمفتاح مجددًا ثم أطفأ المصباح! يا له من فظ غليظ القلب!

أمضيت يومي بين الصلاة والأذكار والنوم والتفكير، إنني بحق أشعر أنني في قبر وليس مجرد سجن، ليته قتلني لأستريح من هذا العناء، ترى كيف حال سليمان الآن؟ هل هو سعيد بدوني أم يبحث عني؟ بالتأكيد سيكون سعيدًا لأنه استراح من ثرثرتي وحماقتي، لا لا، هو يحبني ولن يتحمل غيابي، أنا موقنة أنه يتألم لفقداني، أو ربما يبحث عن عروس أخرى لتحل محلي بعدما يقتلني هذا الشيء، لا، سليمان ليس بخائن، ولماذا لا يكون هو من خطفني ليبعدني عن التحقيقات؟ كيف هذا يا حمقاء؟ إن من خطفك هو القاتل وسليمان ليس بقاتل، ولكن هذا الشيء ينعتني بالحمقاء دومًا مثل سليمان فلربما يكون هو، كفى.

أخذت أردد كلمة كفى بصوت عالٍ فسمعت صوتًا يقول: هل جننتِ أخيرًا؟

ما هذا؟ متى أتى؟

مرت ثوانٍ ثم سمعت صوت المفتاح يُدار في الباب وفي نفس اللحظة أُنير المصباح ودلف هذا الشيء وفي يده أكياس صغيرة، هل سيقتلني الآن؟ أغلق الباب بالمفتاح ثم تقدم نحوي وجلس على منتهى طرف السرير كعادته، أدخل يده في أحد الأكياس ثم أخرجها وهي تمسك بحافظة نظارات فأعطاها لي وقال: هيا جربيها.

أخذتها بلهفة وفتحتها فوجدتها بنية اللون كنظاراتي القديمة، مسحتها بالمنديل ثم ارتديتها فوجدتها مناسبة واستطعت الرؤية جيدًا مرة أخرى، ابتسمت ففهم أنها تناسبني فأدخل يده في الكيس مجددًا وأخرج جهاز

اختبار الحمل ووضعه في يدي وقال بإيجاز وهو يشير إلى الحمام: جربيه.

ما هذا؟ جربيها، جربيه، هل أخبره أحد أن الكلمات ستنضب فأراد أن يوجز ليدخرها؟!
نهضت من السرير وتوجهت نحو الحمام، بعد دقائق معدودات خرجت وتوجهت نحوه
ووضعت الاختبار في يده وجلست على الطرف الآخر للسرير دون أن أتفوه بكلمة وأنا شاردة في ذهول، هبَّ من جلسته ووقف أمامي وقال بسعادة لا أدري سرها: حامل! لقد أخبرتك أنك حامل، مبارك... ما هذا؟ لماذا أنت شاردة ويبدو عليك أمارات الحزن هكذا؟ ألست سعيدة لأنك ستصبحين أمًا؟

نظرت له بعيون ملأى بالدموع وقلت: وما الفائدة؟

تعجب من إجابتي فتابعت: كنت أود أن يكون زوجي هو أول من يعرف بخبر حملي، ولكن يبدو أنه لا يتذكرني ولا يبحث عني، ثم ما فائدة أن أكون حاملًا طالما ستقتلني وجنيني قبل أن أراه ويراني؟

لم يجبني وعاد لمجلسه في صمت ثم مد يده في آخر كيس كان معه وأخرج منه ساندويتشًا ضخمًا مليئًا بقطع اللحم وأعطاه لي وقال بلهجته الباردة: كفي عن التفكير في المستقبل، تناولي طعامك الآن فأنت بحاجة إلى غذاء جيد، ولا تقلقي فسليمان قلق عليك ولكنه مشغول في التحقيقات، أتعلمين أن صادق ذابت جثته كالبقية؟ زوجك يكاد يُجن من أفعالي.

ثم أخذ يضحك ويقهقه ثم قال من بين ضحكاته: سيكون أعظم إنجازاتي أن أجعلك وإياه تصابا بالجنون.

توقف عن ضحكه ونظر إلي فوجدني أتناول الساندويتش بنهم ولم أُبد أية رد فعل على ما قاله كما كان يتوقع، صمت قليلًا ثم تساءل ببلاهة وعدم تصديق: ألم يزعجك أو يخيفك ما قلته؟

قلت له وأنا أمسح فمي بعدما أنهيت التهام طعامي بنبرة باردة: لا.

ازدادت دهشته وسألني بفضول ممزوج ببعض التوتر: لماذا؟

قلت له وأنا أتثاءب بلامبالاة: لأن سليمان سيحطم آمالك قريبًا.

هب من جلسته واقفًا فقلت له بنبرة ساخرة: لا تخف هكذا يا رجل، هون عليك.

أدار ظهره إلي ورفع رأسه للأعلى وتوجه نحو باب الغرفة وقال بهدوء وقد عادت إليه نبرته الباردة: لست خائفًا يا حمقاء، مَنْ يكون سليمان هذا لأخشاه؟ أنا أقوى منه ولن يستطيع معرفة من أنا عوضًا عن معرفة مكاني والإمساك بي، إلى اللقاء الآن يا حمقاء فلدي عملية تطهير هامة، أراك بعدما أنهيها لتفرحي بإنجازي.

ثم تركني وذهب مسرعًا وأغلق الباب والضوء كعادته ثم سمعت صوت باب آخر يغلق بقوة،

يبدو أنه خرج بالفعل ليقتل شخصًا آخر، يا للمصيبة! أخشى أن تكون كلماتي قد استفزته بشدة لذا ذهب الآن، أخشى أن تكون ضحيته القادمة هي... سليمان!!

الفصل الخامس عشر

"سليمان"

حمقاء، تزوجت من حمقاء، زوجة صالحة نعم، ذكية نعم، محققة بارعة نعم، لطيفة ورقيقة وهادئة نعم، لكنها حمقاء وثرثارة وفضولية؛ تلك عيوبها وربما لذلك أحببتها لكن هذه العيوب دومًا ما توقعها في المصائب، وها هي الآن مختطفة منذ ثلاثة أيام وأربع ليال ولا أعرف عنها شيئًا، هل ما زالت على قيد الحياة أم قتلها ذاك السفاح، لو تكلم معها لدقائق لن يتحملها وحينها سيتخلص منها بالتأكيد، يا الله! أرجو أن لا يحدث ذلك، يا لهذه الحمقاء! دومًا ما تختفي وتثير قلقي وتتركني تائهًا هكذا لا أنام من كثرة التفكير ولا أتناول الطعام أيضًا، ترى هل يطعمها؟ هل تستطيع النوم أم يحجبها الخوف؟ لا بد وأنها خائفة تبكي ليلًا

نهارًا كعادتها كلما وقعت في مأزق، ليتني أعرف عنها شيئًا، اللهم طمئن قلبي عليها.

هكذا أنا كل ليلة بعدما أنهي التحقيقات مع الضابط راشد ثم ننتهي من عمل المشرحة أعود إلى بيتنا أفكر في مصير تلك الحمقاء ولا أدري ماذا أفعل وأين أبحث عنها وعن ذلك القاتل الشبح الذي لا يترك أثرًا يدلني عليه وعلى مخبئه، ليتني أجيد اللجوء إلى الله والتضرع إليه كما تفعل تقية كلما اشتد بها الضيق، بل هي تلجأ إليه في كل وقت لذا لا أخشى عليها فأنا موقن أن الله سينقذها، لكن قلبي قلق عليها ولا حيلة لي في ذلك.

تعبت من التفكير فقررت أن أفعل مثلما تفعل هي وتوضأت وأخذت أصلي ركعات لله ليهدأ قلبي ومن هنا عرفت لماذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: "أرحنا بها يا بلال." مجرد أن تصلي بخشوع وتدبر في كل حركة وقول وتستشعر أنك تقف أمام مالك

الملك وتستحضر قلبك وعقلك في وقت السكون والطمأنينة ولا شيء حولك يقلل تركيزك أو يشتته حينها تجد للصلاة لذة لم تذقها من قبل وتجد في قلبك راحة ولروحك خفة وتهبط عليك السكينة وتشعر أنك في عالم آخر مليء بالحياة الحقة التي نفتقدها وسط انشغال العقل والقلب بأمور الدنيا، الآن فقط اكتشفت سر لجوء تقية الدائم للصلاة في أوقات فرحها وأوقات ترحها، في حِلها وترحالها، في طمأنينتها وقلقها، في كل شعور يجتاحها أجدها تصلي فأتعجب كيف هي هينة عليها ونحن في الفروض نفسها نشعر بالثقل، الآن أدركت أن الثقل ثقل الأنفس، ثقل الروح والقلب وعلى إثرهم يثقل الجسد، الثقل فينا نحن ونتهم الصلاة ظلمًا أنها شاقة وثقيلة والتي بعد أن ذقت لذتها الليلة تمنيت من قلبي أن أشعر بتلك اللذة في كل ركعة أركعها بل في كل أمور حياتي وليت

الجميع يشعر بها حينها ستنغلق أبواب العيادات النفسية وتقل الذنوب والجرائم.

بِت أصلي حتى أذن الفجر فصليته وجلست كما كانت تجلس تقية أتلو أذكار الصباح ثم انتظرت وقت الشروق وصليت الضحى وجلست أخذت المصحف الذي تقرأ منه تقية لأقرأ القرآن الذي أهجره بالأيام والشهور فقررت أن أفتح على الصفحة التي توقفت عندها تقية وأقرأها ففتحته فإذا به الوجه (257) من [سورة إبراهيم] فوقع بصري مباشرة على رابع سطر [الآية 12] {وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ} حين قرأتها شعرت أنني انفصلت عن العالم وأخذت أقرأها حرفًا حرفًا بتركيز شديد وبدأت أتدبر الكلمات فشعرت أنها تدلني على ما يجب علي فعله، وقد فهمت من الآية أن علي أن أتوكل على الله

وأدعوه وآخذ بالأسباب وهو سبحانه سييسرها لي وييسر لي سبل الوصول إلى الحقيقة وتقية فهو سبحانه يحب من يتوكل عليه ويكون في عونه دومًا، كما ينبغي علي أن أصبر على الأذى فقد أوذيت في نفسي وزوجتي وسأصبر حتى ينصرني الله ويرد كيد القاتل في نحره وينقذ زوجتي من براثنه وينقذ الناس من شره وأنا على ثقة أن الله سيكشفه لنا عن قريب ويعاقبه على ما فعله من أكبر كبيرة وأول وأعظم جريمة عرفتها البشرية.

استمريت بالقراءة بتدبر ولم أشعر بالوقت حتى دق هاتفي مُعلنًا عن وصول اتصال من الضابط راشد، نظرت فإذا الساعة قد تجاوزت التاسعة صباحًا، كل هذا الوقت وأنا جالس ولم أشعر بمروره! أجبت على الاتصال وقبل أن ألقي السلام سمعت صوته يأتيني منفعلًا يصيح بي:

أين أنت يا سليمان؟ أرجوك احضر حالًا إلى مقر الشرطة.

لم يمهلني لأرد فقد أغلق الخط، ما به هذا؟ لماذا هو منفعل إلى هذا الحد؟ أخشى أن يكون قد أصاب تقية مكروه! لم أتحمل ذلك الخاطر فنهضت من جلستي وارتديت ثيابي على عَجل ثم خرجت لا ألوي على شيء وتوجهت إلى مقر الشرطة الذي وصلته بعد نصف ساعة يملؤها القلق والتوتر، بمجرد أن رآني حارس غرفة الضابط حتى فتح لي الباب فدلفت مسرعًا وسألت راشد بلهفة: ماذا هناك؟ هل أصاب تقية مكروهًا؟

أجابني بنبرة غاضبة: ألا يشغلك سوى تقية؟! كلما طلبت مجيئك تظن أن الأمر يخصها وكأن العالم كله لا يحوي إلا تقية! اطمئن لا يوجد أي

خبر عنها حتى الآن مما يعني أنها على قيد الحياة، الأمر أخطر من ذلك بكثير.

كظمت غيظي من أسلوبه وكلماته، أليست تقية ضحية ككل الضحايا؟ لماذا يتهاون بشأنها؟ أينبغي أن تقتل ليهتم لأمرها؟ حسنًا، لا عليك أيها الضابط، لا أريد من أحد أن يبحث عن زوجتي ويعيدها إلي ولولا أنني أخشى الله لتوقفت عن مساعدتك وبحثت عنها، لكنه عملي ويجب أن أتقي الله وأراعي ضميري فيه.

سألته بفتور: ماذا حدث؟

أجابني بغيظ: ما هذا الرد البارد؟ منذ ساعتين وأنا أحاول مهاتفتك وهاتفك غير متاح لماذا قفلته؟ والآن أخبرك أن الأمر جلل وتجيبني بهذا البرود!

أجبته بنفس نبرتي وأنا أتحرك لأجلس أمامه:
ليس في الأمر أي برود، فقط أحاول الحفاظ على هدوئي فالقلق لن يفيدنا بشيء، أما هاتفي فلم ألمسه منذ الليل ربما ضعف شبكة، والآن أخبرني ما هو هذا الأمر الجلل الذي أتعب أعصابك لهذا الحد؟

أجابني وقد هدَّأ من نبرته الغاضبة قليلًا: أنت تعلم أن جميع جثث ضحايا السفاح قد ذابت تمامًا ولم يتبقَ منها أي أثر لندفنه ما عدا جثة نعمة لأنه لم يستخدم الحمض فيها وقد اضطررنا لدفنها في اليوم التالي حتى لا تتعفن، كل هؤلاء ليس لهم أهل ليسألوا عن مصير الجثث ما عدا حامد والذي شرحنا له كل شيء وفهم وسيصمت بالتأكيد، الصحف الورقية والإلكترونية نشرت أخبار الجرائم والجميع بدأ يحلل ويفكر وأغلبهم موقنين أنها جرائم لنفس القاتل أي أن القاتل سفاح، وبدأ الذعر يدب في

قلوب الجميع خاصة أن طرق القتل غريبة ومرعبة، ورغم ذلك فهناك الكثيرين يظنون أن الأمر له علاقة بالجن وانتقامه وأن الضحايا إما سحرة أو مسحورين وأنهم تعاملوا مع الجن فانتقم منهم، ومعهم كل الحق في هذه الظنون فمن يظن أن القتل بهذه البشاعة يفعله بشر؟! كل هذه التكهنات جعلت من القضية الصغيرة -التي نحاول إخفاءها قدر الإمكان- قضية رأي عام وانتشرت أخبارها ليس على مستوى المحافظة فقط ولا الجمهورية فقط بل على مستوى العالم كله مما أثار غضب أجهزة الأمن كلها ويريدون منا أن نسرع في التحقيقات ونجد القاتل بأي ثمن مما جعلني الآن أكاد أجن من الغيظ والحيرة.

سألته باندهاش: لماذا؟ أنت تعلم أن هذا الأمر لا بد وأنه كان سيحدث في أي وقت.

أجابني وقد توتر أكثر: كيف سأجد القاتل بسرعة ولا دليل عليه؟ الصحافة انتشرت منذ الصباح في قرى الضحايا وهنا وحذرتهم وطردتهم لكن هل سيصمتون؟ لقد نشروا العديد من البثوث المباشرة على المنصات وعلى التلفاز مما زاد من غضب المسئولين وذعر الأهالي، وماذا عساي أن أفعل حيال ذلك؟! الكل يسأل عن الجثث ومصيرها وعندما أخبرت المسئولين ازدادوا حنقًا وأخبروني أن أتكتم على الأمر وأن أجاهد لكي لا يصل إلى الإعلام، أخبرت جميع من في المركز وفريق التحقيق الجنائي بأن يتكتموا على الأخبار فعاهدوني على ذلك ولكن يجب أن نكثف الجهود.

قلت له بهدوء: أتفهم قلقك ولكن كل هذا الأمر يجب أن يربك القاتل لا أنت، ربما يخيفه انتشار الخبر فيتوقف عن القتل على الأقل لمدة كافية

ننشغل فيها بالبحث عنه بدلًا من انشغالنا كل يوم بالتحقيق في جريمة جديدة، لذا تفاءل فالأمر....

قاطع حديثي صوت هاتفه يرن فتناوله وأجاب على الاتصال بسرعة ممزوجة بالقلق وقد وجم وجهه، بعد ثوانٍ من الاستماع لمتحدثه أنهى المكالمة ثم نظر إلي وقال بنبرة ساخرة: يبدو أن القاتل سيخاف بالفعل! أنت واهم يا سليمان.

سألته بقلق: لماذا؟! ماذا أخبرك المتصل؟

أجابني بخيبة أمل: جريمة جديدة، هذا القاتل لن يتوقف كما قلت أنت من قبل، إنه لا يردعه شيء مطلقًا!

الفصل السادس عشر

"راشد"

جريمة تلو جريمة! لقد تلفت أعصابي، تعجب سليمان وسألني ونحن في الطريق إلى مسرح الجريمة: ما هذا القاتل العجيب؟! كل ليلة جريمة! متى خطط لكل هذا؟ ومن أين له بكل تلك الطاقة والشغف لتنفيذ جرائمه يوميًا، لقد تعبت نفسيًا وأُرهقت جسديًا فقط من مشاهدة تلك الجرائم والتفكير في حل وهو ما زال محتفظًا بطاقته كاملة! ما سر كل هذا يا ترى؟

أجبته: الإيمان.

تعجب سليمان من جوابي المقتضب وسألني باندهاش: ماذا؟!

أجبته مجددًا: الإيمان. من يؤمن بشيء ويترسخ في عقله فيشغل كل تفكيره ويصبح هو شغفه وهدفه تجده لا يمل من السعي في تحقيقه ولا يجد نصبًا وراء ذلك ولو وجده فسرعان ما يتجاوزه لأنه يؤمن أنه يجب أن يفعل ما يؤمن به حتى لو كلفه الأمر حياته.

قال سليمان باقتناع: نعم فهمتك، هذا بالضبط ما جعل الأنبياء يجازفون بأرواحهم وأهليهم وأموالهم في سبيل تبليغ رسالة ربهم، وهذا أيضًا ما جعل الصحابة يتركون كل شيء خلفهم ويهاجرون في سبيل الله ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل نصرة الدين وإعلاء رايته، ولكن ربما السبب ليس الإيمان كما تظن بل هو فقط صراع من أجل البقاء.

تعجبت مما قاله وسألته: ماذا تقصد؟ أي بقاء هذا ونحن لا نعرف أي شيء عنه؟ لماذا قد يصارع من أجل البقاء وهو بالفعل ليس لديه مبرر ليقلق؟

أجابني سليمان: لأنه يعلم أننا سنصل إليه لا محالة، لذا أراد إلهاءنا وتشتيت جهودنا في التحقيق في كل جريمة حتى لا نجد وقتًا للبحث عنه، يريد كسب وقت لا أكثر، لو كان يسرق من قتلهم لظننت أنه يريد كسب المزيد من المال ولكن هذا ما يحيرني.

كدت أسأله لماذا لكننا كنا قد وصلنا إلى مسرح الجريمة فأجلت سؤالي لوقت لاحق، نزلنا من السيارة على جانب الطريق الدولي في منطقة بعيدة عن المدينة ولا يوجد مباني حولها، تحركنا نحو كومة موضوعة على جانب

الطريق، عندما اقتربنا منها وجدناها كيسًا أسودًا كبيرًا بحجم الأكياس التي توضع بها البضائع، اقترب فريق البحث الجنائي من الكيس ومعهم سليمان الذي بادر بفتح الكيس وصُدم مما رآه وتراجع للوراء وهو يرتجف واضعًا يديه على وجهه، تقدمت لأرى ما هذا الذي رآه وجعله مشدوهًا هكذا ويا ليتني ما تقدمت! وقفت مشدوهًا للحظات ثم ناديت سليمان وأخبرت الجميع أن لا يقتربوا من الكيس، توجهت نحو السيارة الواقفة بجوار الكيس والتي يوجد بها شاب أظنه هو من اكتشف هذا الكيس، اقتربنا من السيارة ففتحت بابها الأمامي وركبت بجوار الشاب وأشرت لسليمان ففتح الباب الخلفي وركب هو الآخر، كان الشاب شاردًا ورغم انتباهه لركوبنا سيارته إلا أنه لم ينطق بشيء وظل على حاله ينظر من زجاج سيارته إلى الكيس بعيون شاردة غير مصدقة حُبست فيها الدموع وأبت

الهطول، تعجبت من حاله ونظرت إلى سليمان في المرآة فوجدته ينظر إلى عيني هو الآخر بعيون متسائلة، كسرت حاجز الصمت وسألت الشاب: هل أنت من أبلغ الشرطة؟

أجابني بصوت مبحوح وهو ما زال على حالته تلك: نعم.

سألته مجددًا: ما اسمك؟ وإلى أين كنت ذاهب؟ ولماذا توقفت؟

أجابني الشاب ولم يغير من وضعيته بعد: اسمي أمجد سعيد، كنت في زيارة لأحد أصدقائي في محافظة الغربية لحضور حفل زفافه وقد خرجت منذ ساعتين لأعود إلى القاهرة، كنت متعبًا من سهر الأمس ولم أنم سوى ساعتين فقررت أن أقود بسرعة بطيئة،

بعد قيادة حوالي نصف ساعة وصلت إلى هنا وكان الطريق خاليًا من أي سيارة، عندما كدت أقترب من هذا المكان لفت نظري شيء أسود يبدو لناظري من بعيد يلمع تحت أشعة الشمس، عندما اقتربت وجدت كيسًا أسودًا أكبر حجمًا من أكياس القمامة، لوهلة ظننت أنه ربما قمامة تركها أحد المسافرين لكن لم أجد حوله صندوق قمامة، ارتبت في الأمر فقررت التوقف والنزول من السيارة لأستبين كنه هذا الشيء، ظننت أنه ربما يكون شيئًا سقط من سيارة نقل دون انتباه السائق فأبحث عن صاحبه، ترجلت من السيارة بعد أن أوقفتها كما هي الآن وتقدمت نحو الكيس وفتحته و.....

لم يتمالك الشاب دموعه وأخذ يبكي بحرارة وجسده يرتجف وحُق له ذلك فما رآه لا توصف بشاعته، تركته يبكي لبعض الوقت ثم سألته:

لماذا لم تترك المكان بعد أن أبلغت الشرطة؟ يبدو أن الأمر أفزعك بشدة فكيف استطعت الانتظار وكما أراك لا تكف عن النظر للكيس؟

كفكف الشاب دموعه وقال: بالأمس كنت في حفل مليء بالغناء وطيلة الليل أتراقص وألهو، كنت أظن أنني شاب والحياة أمامي طويلة فلدي متسع من الوقت لأستمتع بها دون تقيد بعبادات وأحكام شرعية وما زال العمر أمامي وباب التوبة مفتوح لا يغلق فلماذا أتوب وأقيد حريتي وأنا ما زلت في ريعان الشباب؟ عندما رأيت ما في الكيس صعقت ولم تستطع قدماي أن تحملاني فسقطت على الأرض وانتابتني نوبة بكاء عارمة، بعد حوالي ساعة استفقت من بكائي وتحركت بصعوبة نحو السيارة وجلست بداخلها أطالع الكيس ولكنني شردت متفكرًا في حياتي ومر من أمام عيني سجل أعمالي وكأنني أحتضر وبالفعل كنت أظن ذلك،

من شدة ما انتابني من فزع ظننت أن قلبي سيتوقف وحينها تفكرت ماذا لو توفاني الله ولم أتب بعد ولم أسجد له منذ سنوات ولو سجدة واحدة؟ تخيلت نفسي مكان من في الكيس وعاهدت الله ألا أعود لما كنت عليه قط.

وضع سليمان يده على كتف الشاب وقال له وهو يبكي بفرح: الحمد لله أن هداك سبيل الرشاد، اثبت أخي ولا تتزعزع أبدًا.

ابتسم له الشاب من بين دموعه ولم ينطق فقلت له: ثبتك الله، رجاءً لا تغادر المكان فسنصحبك معنا إلى مركز الشرطة لتدلي بأقوالك في محضر رسمي وبعدها نسمح لك بالعودة.

هز الشاب رأسه موافقًا ففتحت باب السيارة وترجلت منها وتبعني سليمان، ابتعدنا قليلًا عن السيارة فسألت سليمان: هل تستطيع العمل الآن؟

سألني سليمان بدهشة: ألن نذهب إلى المشرحة ونقوم بعملنا هناك؟!

قلت له: لا وقت لدينا، ربما تنفجر الجثة كسابقيها ولا نجد لها أثرًا، ربما هذا المرة نجد خيطًا يدلنا على القاتل.

لم يجبني ولكنه حرك رأسه موافقًا ثم توجه نحو الكيس ونادى فريق الفحص الجنائي واقتربوا من الكيس وفتحوه بهدوء، كان الله في عونهم فالأمر بشع بحق.

اقتربت منهم لأتابع بنفسي ما يفعلون، فرشوا كيسًا بلاستيكيًا كبيرًا على الأرض وبدأوا يخرجون محتويات الكيس، بدأوا بإخراج فك الأسنان الذي كان يوجد على الوجه ثم الشعر الذي يبدو أنه شعر امرأة، بعدها أخرجوا العينين والأنف والأذنين ثم اللسان والمخ وعظم الجمجمة الذي كان متكسرًا لقطع صغيرة، يبدو أن القاتل مزق الرأس تمزيقًا، بعدها بدأوا بإخراج اللحم والذي كان مفرومًا كلحم البقر المفروم، بعدما أخرجوا محتويات الكيس كلها وبدأوا يفحصون اللحم بدقة وجدوا أن القاتل قد فرم الجثة فرمًا فقد اختلط اللحم بالجلد والعظام والأحشاء وكلهم مفرومون كأنك تشاهد لحومًا مفرومة مكدسة في مصنع لحوم تنتظر التعبئة لتباع في المحلات ولكن اللحم هذه المرة لحم بشري وليس حيواني!

نهض سليمان من مكانه ونظر إلي وقال بنبرة متلجلجة: هل رأيت مثل هذه الجريمة من قبل؟! يا الله! كيف تمكن من فعل هذا بامرأة؟ بل العجيب هو لماذا لم يقم بفرم الرأس مع باقي الجسد؟ لماذا مزقه وتركه هكذا؟

سألته: هل ذُبحت قبل الفرم؟

أجابني سليمان وقد كاد يبكي: بل فرمها حية وهي تشاهد!

نظرت إليه بدهشة كبيرة ولم أستطع التفوه بأي كلمة من هول ما رأيت وما سمعت، بعد برهة انتبه سليمان وقال: ترى هل بصماته على الكيس؟

لم يمهلني لأجيبه فقد هرول إلى حيث الكيس ونادى أحد أعضاء الفريق وقال له وهو يلتقط الكيس ويناوله إياه: تعال، خذ هذا الكيس وارفع البصمات من عليه.

امتثل الرجل للأمر وأخذ الكيس وطبقه ووضعه في كيس بلاستيكي أخرجه من جيبه ثم أغلقه ليفحصه في المعمل فليس معه الأدوات الآن بالطبع، نظرت حيث كان الكيس فانتبهت لأشياء صغيرة تلمع على الأرض فناديت سليمان وسألته: ما هذا الذي يلمع مكان الكيس يا سليمان؟

انحنى سليمان ليلتقط ما وجده ولكنه صرخ بقوة وفقد وعيه! هرولت ناحيته وحاولت أنا وبعض الرجال إفاقته، بعد قليل استرد وعيه واجتاحته نوبة من البكاء فنظرت مكان الكيس

لأعرف سر صرخاته وبكائه، مددت يدي لألتقط ما وجدته على الأرض فوجدته جهازًا صغيرًا لاختبار الحمل ويبدو أن النتيجة إيجابية، أما الشيء الثاني الذي كان يلمع على ضوء أشعة الشمس فقد كان حطام نظارات بنية حطمها ثقل الكيس، صدمت مما رأيت ونظرت لسليمان وسألته بتوجس وخيفة: سليمان! أهي....

أجابني سليمان وهو ما زال يبكي بغزارة: لقد قتلها، لقد قتل تقية!

الفصل السابع عشر

"انتشاء"

الكثير يُفني حياته من أجل أن يحصل على شعور السعادة ظنًا منه أنه أفضل شيء في الحياة، مساكين! فكيف بهم لو جربوا شعور الانتشاء من فرط السعادة؟! هو شعور نادر جدًا لكنه جميل جدًا، شعور لا أستطيع وصفه لكنني أشعر به الآن وهذا يكفي، بعد كل عملية تطهير أقوم بها ينتابني هذا الشعور لكنه هذه المرة فاق المدى في جماله، ربما لأن عملية التطهير هذه لم تكن سهلة لكنها أكثرهم إمتاعًا بالنسبة لي، والذي جعلها ممتعة أكثر هو رؤية سليمان وهو يسقط أرضًا مغشيًا عليه عندما رأى النظارات واختبار الحمل وعلم أنني لم أنتهِ من زوجته فقط بل من جنينهما أيضًا، يا لروعة هذا الشعور! من شدة فرحي لم أعد إلى

البيت بعد التطهير مباشرة وأخذت أتجول في الشوارع أستمتع بالهواء طيلة اليوم حتى انتصف الليل وبرد الجو أكثر وتساقط المطر فقررت أن أكتفي بهذا القدر من التجوال وأعود إلى بيتي لأتنعم بالدفء ونوم هانئ حتى لا يتعكر صفو يومي، الغريب أنني قررت أن أؤجل عملية التطهير القادمة حتى ينتهي هذا الشعور الجميل والذي أظنه سيستمر لأيام هذه المرة وليس فقط لساعات.

وصلت إلى البيت عند منتصف الليل فشعرت بدفء وراحة، توجهت إلى غرفتي وأبدلت ثيابي بثياب دافئة مريحة ثم عرجت على المطبخ فأعددت مشروب السحلب الدافئ صديق الشتاء وأغدقت عليه بالكثير من المكسرات المتنوعة ثم وضعته في صينية تعج بالساندويتشات ذات الحشوات المختلفة الخفيفة فمن شدة سعادتي شعرت بالجوع الشديد وأود أن آكل كثيرًا. حملت الصينية

برفق وتحركت بها ببطء وهدوء نحو الغرفة لأتناولهم قبل النوم، وصلت الغرفة وفتحتها ثم دخلت وأنا أحمل الصينية وتوجهت نحو السرير فوضعتها عليه وجلست بجوارها وأمسكت ساندويتشًا وأخذت أتناوله ببطء وتلذذ كأنني لم أتناول الطعام من قبل قط، وهكذا الأمر حتى أتممت طعامي وشعرت بالشبع فأخذت كوب السحلب بين يدي وأخذت أرتشفه بتلذذ وهدوء حتى انتهيت منه بعد قليل فوضعت الكوب على الصينية وتنهدت بعمق وراحة ثم قلت: يا للروعة! بالأمس في مثل هذا التوقيت بالضبط كنت أقوم بأمتع تطهيراتي، كنت أقف في مصنع بالمدينة المجاورة؛ مصنع كبير لإنتاج اللحوم، لديهم مفرمة كبيرة جدًا وضخمة ربما لو وضعوا فيها بقرة ضخمة لاتسعت لها، ذاك المصنع يملكه رجل بلا قلب، يتجول بعض العاملين لديه في الأسواق كل يوم ويجلبون له العديد من

الحيوانات التي لا تؤكل لحومها فينتزعون جلودها بقسوة وهي على قيد الحياة ثم يضعونها في المفرمة الكبيرة وهي ما زالت تتنفس وتصرخ حتى تنتهي المفرمة من فرمها بلحومها ودمها وعظامها ثم يأخذون هذا الخليط القذر إلى ماكينات أخرى ليتم تصنيعه وتعبئته وتوزيعه على التجار والمطاعم فيبيعونه لهم على أنها لحوم مصنعة من لحم بقري صافي فيشتريها الناس بأسعار كأسعار المنتجات المصنعة من لحوم البقر الحقيقية ويتناولها الناس ولا يستطيعون التفرقة بينهم بفضل الإضافات الكثيرة التي يضيفونها، ذلك الرجل أصبح من أغنى الأغنياء دون أن يتكلف أي مبالغ تذكر سوى أموال العمال وتكاليف التصنيع والتعبئة، هؤلاء العمال يشبهونه في قسوة القلب وعشق المال الحرام لذا كان لا بد من معاقبة رأس الحية.

في ذاك المصنع الفخم الكبير الساكن كسكون الليل لانتهاء وقت العمل وتخدير الحراس بالخارج عن طريق رش مركب في الجو على مقربة من المصنع قمت بتركيبه بنفسي بالطبع ولأول مرة أجربه عليهم بعد تأكدي من جودته، تسرب المركب هذا إلى رئة الحراس خارج المصنع وداخله مع الهواء الذي استنشقوه ففقدوا وعيهم جميعًا في نفس الوقت وبعدها بقليل دخلت إلى المصنع حاملًا غنيمتي المخدرة بمخدر خفيف قصير الأمد، بعد وقت قصير بدأت غنيمتي تستفيق فنزعت العصابة عن عينيه فنظر أمامه بعد أن زال عنه تشوش الرؤية فرآني أمامه مباشرة ففزع من رؤيتي متشحًا بالسواد ومقنعًا فأراد أن يصرخ فخرج صوته مبحوحًا وسألني بخوف: من أنت؟ ولماذا تقيدني؟ وأين أنا؟

ابتعدت عنه قليلًا فنظر حوله وتابع في وجل: هذا... هذا مصنعي! كيف دخلت؟ وأين الحراس؟

ثم صرخ يناديهم بأسمائهم ولكن لا مجيب سوى صدى صوته يتردد في المكان، ولكن هناك صوت آخر قطع صوته؛ صوت أنين مكتوم، أخذ يتنصت ثم سألني: ما هذا الصوت؟ ومن أين يأتي؟

ابتعدت عن مجال رؤيته حتى اتضحت المفرمة العملاقة من خلفي فنظرت إليه واقتربت من لوحة التحكم فضغطت زرًا فارتفع ذراع حديدي فوق فوهة المفرمة يتدلى منه حبل ضخم شيئًا فشيئًا حتى ارتفع ما يمسك به الحبل وظهر جليًا أمام الرجل الذي ينظر إلى المفرمة في وجل وعندما رأى ما يتعلق بالحبل وتمعن فيه

صرخ بصوت رج المكان قائلًا: لاااا، إنها ابنتي! لماذا تربطها؟ ومن أنت؟ أرجوك اتركها تذهب.

لكنني وقفت صامتًا أنظر إليه ولا أجيب، استفاقت الفتاة بالكامل ونظرت حولها في فزع فرأت نفسها مقيدة وأسفلها المفرمة ورأت أبيها يجلس أمامها مقيدًا هو الآخر ينظر إليها تارة بخوف وإلي تارة برجاء، بدأت الفتاة تصرخ تناديه: أبي! أنقذني يا أبي! أنزلني يا أبي، أنا خائفة.

أخذ الرجل يبكي ونظر إلي وقال مستعطفًا: أرجوك أنزلها، أخبرني ماذا تريد منا وسأنفذه لك حتى لو طلبت مالي كله.

لم أتمالك نفسي فأخذت أضحك بقوة حتى سمعت صدى ضحكاتي فقلت له: لست أنا من يرغب في المال، أنا هنا لأذيقك من نفس الكأس.

فسألني بحيرة: من أنت إذًا ولماذا تفعل ذلك؟

أخبرته بصوت هادئ: أنا سفير التطهير، سأطهر العالم من شرك.

ثم أخبرته بجرائمه فأخذ يتوسل إلي أن أرحمه وأترك ابنته ولكن إجابتي كانت أن ضغطت زر التشغيل فتحركت أضراس المفرمة وارتفع صوت ارتطامها ومعه ارتفع صوت صراخ الرجل وابنته فضغطت زرًا آخر حرك الذراع المقيدة به الفتاة وأخذ ينزلها ببطء وهي تصرخ حتى لامست قدماها أضراس المفرمة

فصرخت بقوة وهي تستنجد بأبيها أن ينقذها وهو بدوره يتوسل إلي ببكائه وكلما صرخوا أكثر نزل جسدها للأسفل حتى اختفى صوتها للأبد عندما انتهت المفرمة من فرم جسدها كاملًا.

فتحت أجزاء المفرمة السفلى لأقوم بتسليكها من بقايا الجمجمة العالقة بها ثم ركبتها وحركت الوعاء الكبير الذي صبت فيه مخزونها من اللحم المختلط بالدم والعظم الذي كان منذ قليل فتاة يانعة تنبض بالحياة حتى انتهيت به أمام أبيها فأخذ ينظر إلى أشلاء ابنته وهو يبكي بحرقة ويقول لي: لماذا قتلتها؟ ما ذنبها؟ لماذا تحاكمها بأفعالي؟ وماذا فعلت أنا لتعاقبنا؟ لم أقم بقتل إنسان ولكنها حيوانات ضالة رحمتها من شظف العيش، لم يتأذى أحد من أكلهم قط فلماذا تعاقبنا؟

اغتظت منه فموت ابنته بنفس الطريقة لم يردعه وما زال يرى نفسه بريئًا، فككت وثاقه وأمسكته بقوة وجررته خلفي وهو يصرخ بي أن أتركه، صعدت به سلمًا بجوار المفرمة وقمت بتعليقه حيث كانت ابنته منذ قليل ونزلت ووضعت وعاءً آخر بجوار المفرمة وتوجهت نحو لوحة التحكم وقمت بتشغيل الأزار ولكن هذه المرة أنزلته ببطء شديد ليتعذب أكثر.

بعدما انتهيت من فرم الرجل جمعت أشلاءه في أكياس صغيرة وجمعت ابنته في كيس كبير ثم نقلتهم إلى سيارتي خارج المصنع وتحركت بسيارتي حتى انتهيت إلى شارع مظلم تنتشر به الكلاب الضالة فأوقفت السيارة وفتحت كيسًا ونثرته على الأرض ثم عدت إلى سيارتي وجلست خلف المقود وانتظرت قليلًا حتى تجمعت الكلاب واستمتعت برؤيتها تأكل لحم ذاك الرجل ليذوق من نفس الكأس الذي أذاقه لأمثالهم من الحيوانات، كررت الأمر في أكثر

من شارع حتى انتهيت من جثمان الرجل ثم توجهت إلى الطريق الصحراوي وأنزلت الكيس الذي به أشلاء ابنته ووضعته على جانب الطريق وذهبت.

لم تكن عملية التطهير فقط هي ما أسعدتني لهذا الحد الذي أبدو عليه ولكن ما أسعدني أكثر هو رهبة الشرطة والفريق الجنائي عندما رأوا الكيس خاصة عندما أفرغوه من محتوياته ووجدوا تحته نظارات بنية قديمة وجهاز اختبار حمل واللذان ما إن رآهما سليمان حتى خر مغشيًا عليه من الرعب وعندما استفاق ظن أن هذه الجثة هي جثة زوجته الحمقاء ذات النظارات.

لم أتمالك نفسي فضحكت بسعادة قاطعها صوت تلك الحمقاء وهي تصرخ بي وتقول: أيها الوقح! ماذا فعلت؟ كيف قتلت هؤلاء بهذه القسوة؟ أليس لك قلب؟ ولماذا تفزع سليمان

بهذا الشكل؟ ماذا فعل لك المسكين؟ ماذا لو أصابه مكروه؟

ثم أخذت تبكي بكاءً مريرًا فقلت لها: يا لهرمونات الحمل هذه! يجب أن يشكرني سليمان إذ أرحته من أن يعيش هذه الفترة معك فلم يكن ليتحملك قط، وماذا فعلت له أنا؟ هي محض أيام وسينسى ما رآه ويتزوج غيرك فلا تنزعجي هكذا وانتبهي لنفسك وجنينك فقط، هو لا يحبك يا تقية فلا تأخذك به شفقة هكذا.

نظرت إلي بغضب شديد ثم أمسكت بالكوب الزجاجي وباغتتني و... ضربتني به بقوة على رأسي من الخلف....

الفصل الثامن عشر

"راشد"

قتل، قتل، قتل، كل يوم جريمة قتل! منذ تَوليت رئاسة مباحث هذا المركز وكل الجرائم قتل فقط! ما هذه المشقة؟ ألا يوجد تنوع؟ لقد اشتقت للتحقيق في جريمة سرقة أو حتى نزاع على قطعة حلوى بين جارين، لقد سئمت هذا المنوال، أمَّا هذا القاتل العجيب فيبدو أنه لا يسأم قط!

كنت أحادث سليمان الذي يجلس بجواري في سيارتي بعد أن أفاق من إغمائته لأفرج عنه قليلًا لكنه ما زال شاردًا يحدق في الفراغ ولا ينظر إلي، إنه أيضًا لا يستطيع البكاء من شدة صدمته، كم أشفق على هذا المسكين! قررت أن أبلغ فريق البحث أننا سنذهب وليلحقوا بنا

هم بعد أن ينتهوا من جمع الأشلاء في كيسها مجددًا ثم يأخذونها إلى المشرحة فيكتب الأطباء تقريرهم ويلحق بنا العساكر ومعهم أمجد لأسجل شهادته في محضر رسمي ولكن باغتني اتصال هاتفي من المركز يبلغني فيه أحد الضباط أن ألحق بهم في مصنع لصناعة وتعبئة اللحوم المصنعة في نهاية المدينة، أخبرت العساكر والفريق الجنائي أن ينتهوا من عملهم سريعًا ويلحقوا بنا حيث العنوان الذي أخبرني إياه الضابط ثم أدرت المقود وتوجهت حيث العنوان ومعي سليمان الذي لم يسألني إلى أين بل ربما لم ينتبه لتحركي من الأساس!

بعد حوالي ساعة من القيادة السريعة وصلت حيث العنوان، أوقفت السيارة وأخذت نفسًا عميقًا ثم قلت لسليمان: أعلم أنك في صدمة كبيرة وكذلك نحن، لكنني أحتاجك معي، أحتاج انتباهك لعلنا نعرف القاتل سريعًا ونرتاح لنثأر

لتقية وللجميع، أرجو أن تستفيق ولو مؤقتًا وتساعدني.

سقطت دمعات صغيرة من عيني سليمان ولم يتكلم ولكنه فتح باب السيارة وترجل منها وتحرك نحو مدخل المصنع فترجلت أنا الآخر ولحقت به، تحركنا من بوابة المصنع باتجاه داخله وكان سليمان يلتفت حوله ينظر في كل اتجاه؛ يمينًا ويسارًا، بالأعلى وبالأسفل وفي الأمام، بعد وقت يسير من التفحص الدقيق وصلنا المصنع نفسه من الداخل حيث يتم التصنيع والتعبئة، كان العساكر يحيطون بالمدخل من الخارج كما يحيطون بالمصنع ككل، فتحوا لنا الطريق لندخل، دلفنا ومعنا أحد العساكر ليوجهنا حيث الضابط رأفت، كنا نتحرك بين الآلات الجامدة في وسط صمت رهيب لا يقطعه إلا صوت خطوات أقدامنا، وما زال سليمان على حاله يتفحص ما حوله في

صمت مهيب، هذا ما يعجبني في سليمان؛ أنه يتفحص بدقة بعين الخبير الجنائي لذا أحتاجه معي في حل لغز هذا السفاح، نعم نحن معشر الضباط لدينا أعين متفحصة قوية لكن عين الخبير الجنائي أدق بكل تأكيد.

بعد نحو عشر دقائق وصلنا أخيرًا حيث ينتظرنا رأفت، كان يقف هو وبعض العساكر من حوله ومعهم رجال ضخام لا أعرفهم وعددهم ليس بالقليل ربما يتجاوز العشرين رجلًا، إنهم يقفون أمام آلة ضخمة لا أعرف ما هي وأمامهم طاولة صغيرة وقد وُضع عليها.... بقايا جمجمة!

تعجبت مما رأيته وسألت رأفت: ما هذا؟ أين وجدتم هذه الجمجمة؟

أجابني رأفت: ليس نحن بل هم -وأشار إلى الرجال الضخام- هؤلاء هم عمال هذا المصنع

وحراسه، أتانا اتصال هاتفي من أحدهم يبلغنا أنهم وجدوا هذه العظام عالقة في تروس المفرمة وهم ينظفونها ليبدأوا عملهم، إن لديهم شك أنها تعود لصاحب المصنع.

قبل أن أنطق سبقني سليمان وقال: ماذا؟! لماذا ظنوا ذلك؟ هل استجوبتهم؟ وهل راجعتم الكاميرات؟

أجابه رأفت: نعم، استجوبتهم جميعهم، وبالنسبة للكاميرات فلا توجد كاميرات داخل مبنى المصنع نفسه الذي نقف فيه هذا، الكاميرات فقط توجد على بوابته من الخارج والبوابة الرئيسية ومبنى الإدارة من داخله وخارجه، لكننا اكتشفنا أن للمصنع بوابة أخرى في نهايته من خلف هذا المبنى وتطل على أرض فضاء ولا يوجد كاميرات في تلك الجهة.

تعجب سليمان وسأله: لماذا ليس هناك كاميرات؟! من المفترض أن تكون الكاميرات في أكثر مكان هادئ، هل هذه البوابة غير مهمة لهذه الدرجة؟!

أجابه رأفت بلهجة متعجبة: على العكس تمامًا، بل هي أهم بوابة في هذا المصنع؛ إن السيارات التي تحمل الحيوانات تأتي من الخلف وتدخل المصنع عبر تلك البوابة وتقف في ممر صغير بين البوابة والمصنع فتفرغ حمولتها في غرفة كبيرة حيث يتم الذبح والتهيئة للفرم وبعدها تنتقل اللحوم مباشرة إلى هذه المفرمة حيث تقبع تلك الغرفة خلف المفرمة مباشرة وهذا بابها -وأشار إلى باب حديدي ضخم يوجد خلف المفرمة-، هذه الغرفة تظل مفتوحة منذ الصباح حتى ينتهي وقت العمل أي منذ السابعة صباحًا حتى التاسعة ليلًا وحينها تغلق من الداخل والخارج ويستلم

حراس مناوبة الليل عملهم حيث يحرس اثنان البوابة الخارجية من تلك الجهة واثنان آخران يحرسان باب المصنع من تلك الجهة والذي يكون هو باب الغرفة من الخارج، وتلك هي حجة هؤلاء العمال لعدم وجود كاميرات هناك ولكنها حجة واهية إذ أن البوابة الرئيسية تحفها الكاميرات هي وباب المصنع الرئيسي ومبنى الإدارة ومع ذلك يوجد خمسة حراس عند كل بوابة في مناوبة الليل واثنان فقط في مناوبة النهار.

سألته: غريب هذا الأمر! ولكن لماذا ظنوا أن بقايا الجمجمة هذه هي لصاحب المصنع؟ ربما كانت لحيوان مثلًا أو حتى لشخص آخر تم فرمه هنا وليس بالضرورة أن يكون هو بالذات.

هنا انتبه سليمان وسألني بصوت يخنقه الحزن: أتقصد أن هذه العظام تعود لتقية وأن القاتل قام بقتلها هنا؟!

قلت له بأسى: أظن ذلك.

لكنه قال: ولكن العظام التي وجدناها في الكيس لو جمعناها لشكلت جمجمة كاملة ويبدو أن القاتل نظف الآلة بعدها كما فعل العمال، لذا أظن أن هذه العظام لشخص آخر، لكن لماذا صاحب المصنع بالذات الذي ظنوا أنها تعود إليه؟

أجابنا رأفت: لقد قال العمال أنهم ينتظرونه كل يوم ليقوموا بذبح الحيوانات أمامه فهو يحب شهود الذبح والفرم بنفسه، لكنه لم يأتِ اليوم فهاتفوه لم يجبهم ولا يعرفون رقم هاتفه

المنزلي، كما أنهم أيضًا يقولون أن شعر رأسه كان أبيضًا بشكل كلي رغم صغر سنه، فلم تفلح الأصباغ معه لتخبئة هذا الشيب المبكر، وبقايا الجمجمة هذه علق بها بعض الشعر الأبيض.

سألته: هل أخبروك بمعلومات أخرى؟

أجابني: كلا، إن أجوبتهم جميعهم مقتضبة ومتشابهة إلى حد بعيد مما أثار الشك بداخلي.

قلت له: معك حق، الأمر مثير للشكوك حقًا، فلتأخذ جميع العمال والحراس إلى مركز الشرطة وتَحَفَّظْ عليهم حتى نعود ونستجوبهم مرة أخرى ريثما يأتي فريق التحقيق الجنائي ويقوم بعمله.

تركنا رأفت وذهب بعد أن نفذ ما قلته بالتزامن مع وصول الفريق الجنائي فأرشدتهم إلى بدء العمل ووقفت في مكاني أنتظرهم وأجول ببصري في المكان حولي فرأيت سليمان يتجول في المصنع ينظر في كل الآلات ويتفحصها بدقة ببصره وأنفه ويديه، بعد نحو 3 ساعات انتهينا جميعنا من الفحص وتركنا المصنع بعد أن قمنا بتشميعه ووضع حراسة عليه وتوجهنا نحو مركز الشرطة وتوجه الفريق الجنائي إلى المستشفى لفحص الأدلة بالأجهزة ومن ثم عمل تقرير بما يتوصلوا إليه.

وصلنا إلى مركز الشرطة بعد نحو الساعة ودلفت أنا وسليمان إلى غرفتي وبدأنا الاستجواب الذي لم يكن عاديًا لأن سليمان اقترح علي أن نجمعهم جميعهم ونستجوبهم دفعة واحدة فوافقته على مقترحه لأنني أعلم

أنه ذكي للغاية وربما لديه خطة ما. استدعيت العسكري الواقف على الباب وطلبت منه إدخال جميع العمال والحراس، دخلوا جميعهم فطلب منهم سليمان الجلوس أرضًا وأن يجيبوه معًا فاستجابوا لأمره وجلسنا في أماكننا أنا وهو وتركت له المجال ليتكلم فبادرهم بسؤاله: ما اسم صاحب المصنع؟

أجابوه جميعهن في نفس الوقت: شفيق عبدالرؤوف.

فسألهم: هل لديه ابنة؟

أجابوه: نعم.

سألهم: ما اسمها؟ وكم عمرها؟

أجابوه: رحمة، لا نعلم عمرها لكنها شابة عشرينية.

سألهم: ما لون شعرها؟

أجابوه: بني فاتح.

صمت سليمان قليلًا وزفر كأنه اطمأن لشيء ما ثم سألهم: كيف تنظفون آلات الفرم والتعبئة في المصنع؟

أجابوه: لا ننظفها مطلقًا.

سألهم: لماذا؟ كيف تستعملونها هكذا دون تنظيف يومي؟

أجابوه: إنها لا تخلُ من العمل يوميًا، وعملية تنظيفها تحتاج وقتًا طويلًا لنغسلها فيه ووقت أطول لتجف وهذا تعطيل للعمل.

فسألهم: وبالنسبة لغرفة الذبح ألا تغسلونها هي الأخرى؟

أجابوه: بل نغسلها يوميًا بعد انتهاء ساعات العمل.

ولكن سليمان باغتهم بسؤال جعلهم يتصببون عرقًا ولا يستطيعون إجابته: إذًا لماذا جميع الآلات قد غسلت اليوم؟

أخذوا ينظرون لبعضهم نظرات حائرة فباغتهم سليمان بسؤال آخر: ما نوع الحيوانات التي تقومون بذبحها؟

أجابوه: البقر.

فسألهم: عجولًا أم كبارًا؟

هنا اختلفت إجاباتهم فمنهم من قال العجول ومنهم من قال الكبار فتعجبت وسألتهم: ألا تعرفون ما تذبحون؟ هل هم عجول أم كبار؟

فأجابني أكبرهم سنًا: نحن نذبح البقر المتوسط السن لا هو بالعجوز ولا بالعجول.

فسألته: لماذا إذًا اختلفت إجاباتكم؟

فأجابني: من قالوا عجول فهم ليسوا من يقومون بالذبح ولا يعرفون أي حيوانات

نستعمل وإنما خمنوا فحسب لذا اختلفت الإجابة.

ولكن سليمان فاجأنا جميعًا بسؤاله: اختلفت لأنهم لا يعلمون أم لأنكم لا تذبحون الأبقار من الأساس؟

تلجلج الجميع وسألوه: كيف لا نذبح الأبقار؟ ولماذا نحتاج إلى مفرمة إن لم يكن هناك لحوم؟

فأجابهم سليمان بابتسامة فارقت وجهه منذ الصباح ولم تعد إلا الآن: ربما لتفرموا بها قططًا وكلابًا وأي حيوان آخر وليس الأبقار.

هنا وجم الجميع من بينهم أنا وسادت حالة من الصمت لبرهة من الوقت قطعها صوت أحدهم وهو يهمس لمن بجواره: كيف عرف؟

الفصل التاسع عشر

"سليمان"

تعبت، ليس يأسًا أو قنوطًا من رحمة ربي ولكن طاقة تحملي نفدت، أخشى أن أفقد صبري هو الآخر، كلما اقتربت شبرًا تراجعت أذرعًا، جميعنا تعبنا؛ تعب راشد من ضغط الداخلية كلها عليه ليجد القاتل سريعًا ويقدمه للعدالة، تعب من الصحافة التي تحاول أن تتحصل على المعلومات منه فيرفض فبدورها لا تصمت بل تنشر الشائعات التي تجاوزت المركز فالمحافظة فمصر كلها ثم العالم وأصبح الجميع يحيا في رعب جم خاصة أهل المركز أنفسهم ولهم الحق في ذلك فذلك القاتل يتجاوز الأبواب التي تغلقها على نفسك طمعًا في الأمان فتجده قد اخترقها وتخلص منك قبل أن تعي ما يحدث، وتعب راشد من ضغط هذه الجرائم التي

تتعقد ولا تُحل، وتعبت أنا من كثرة التفكير؛ تفكير في من هو القاتل وما هي خطواته القادمة، تفكير في تقية، زوجتي الحبيبة، اشتقت لك يا تقيتي، ترى هل تحملين في أحشائك طفلًا فيزداد همي همين أم أن القاتل يريد أن يشتت عقلي؟ ولكن لماذا يريد ذلك؟! لماذا لم يفعلها مع راشد وهو الضابط الذي يتولى القضية؟ لماذا يريد تشتيتي أنا وهو يعلم أن الفريق الجنائي لن يتوصل إلى حل ولن يعرف من هو؟ ترى هل القاتل شخص أعرفه يريد أن ينتقم مني؟ ولكن لماذا؟ لم أؤذِ أحدًا قط! هل هو من أتباع الدباغ؟ لكنهم أُعدموا جميعهم ولم يتبق من يثأر له، ولو أن ذلك الافتراض صحيحًا فلماذا لم يقتلني أنا وتقية مباشرة؟ لماذا يقتل هؤلاء؟! لقد تعبت من التفكير كل يوم في هذه الأمور، حتى أن تقية ربما تعبت هي الأخرى من الأسر ومن عدم تدخلها في القضية، ربما لو كانت هنا لأتحفتنا

بالحل، حتى أن الفريق الجنائي وأفراد الشرطة كلهم تعبوا من الانتقال من جريمة لأخرى دون أن يستريحوا يومًا أو حتى ساعات، كلنا تعبنا إلا هو! ذاك القاتل الشبح، لم يزدد إلا قوة وإصرارًا على القتل، لم يتوقف ولن يتوقف، متى يخطط ويفكر ويراقب الضحايا حتى يستطيع التنفيذ بتلك السرعة والتوالي؟!

في صباح اليوم التالي توجهت إلى المشرحة فوجدت الفريق الجنائي كلهم ينتظرون قدومي وفور أن رأوني أخبروني في صوت واحد: أبشر يا سليمان! الجثة ليست لتقية.

قلت لهم بهدوء: أعلم ذلك، هي رحمة ابنة صاحب مصنع اللحوم، أليس كذلك؟

اندهشوا جميعهم وسألوني: كيف عرفت؟!

ابتسمت وأجبتهم: لقد أخبرني رجال أبيها بالأمس أن شعر رأسها باللون البني ولهذا تيقنت أنها ليست تقية، كما أننا بعدما أنهينا التحقيق معهم ذهبنا إلى بيت الرجل وأخبرنا الخدم أنه وابنته ذهبا للنوم بعد منتصف الليل ولكنهم عندما استيقظوا لم يجدوهما في فراشهما فانتظروا ربما ذهبا إلى المصنع لأمر طارئ لكنهما لم يعودا حتى تلك اللحظة فازداد يقيني أن تلك الأشلاء التي وجدناها في الكيس تخص ابنة الرجل وربما أشلاءه هو الآخر وما وَضَعَ النظارات هناك إلا ليضللنا.

قال الطبيب داوود نافيًا: لا، إنها أشلاء الفتاة وحظها أما الرجل فليس هناك أية أشلاء تخصه، ربما ألقى القاتل أشلاء في مكان آخر أو أطعمه للحيوانات كما فعل في أشلاء نعمة.

سألني الطبيب نعمان: ولكن هناك سؤال يشغلني، لماذا نظف العمال الماكينات عندما وجدوا الجمجمة؟ إنهم بذلك يخفون الأدلة! فهل هم من قتلوه؟

أجبته: بالطبع لا، القاتل هو نفسه القاتل الشبح وليس هؤلاء العمال.

فسألني مجددًا بدهشة: إذًا لماذا أخفوا الأدلة طالما لم يقتلوه هم؟

ابتسمت وأجبته بهدوء: لأنهم أرادوا أن يخفوا أدلة أخرى تدينهم هم لا هو.

سألني نعمان بعدم فهم: لقد حيرتني يا سليمان! ألم تقل أنهم لم يقتلوا الرجل وابنته؟

أي أدلة تلك التي تدينهم في جريمة لم يرتكبوها؟!

أجبتهم بغموض: ليست جريمة قتل الرجل وابنته هي الجريمة الوحيدة التي ارتكبت في هذا المصنع.

جحظت أعينهم من الدهشة وقالوا في صوت واحد: ماذا! من قُتل غيرهما؟!

أجبتهم: ليس من بل ما.

سألني العم رابح وهو يصرخ برعب: جن! هل من قُتلوا هم الجن؟

ضحكت رغمًا عني وأجبته: يا عم رابح، أَكُلَّ شيء غامض تظنه يخص الجن؟! نحن في عالم جرائم حقيقية ولا دخل للجن فيما يقترفه الإنسان الآثم، كف عن الخوف وظنونك تلك أرجوك.

ولكنه سألني ببلاهة: إن لم يكن المقتول من الإنس فهو من الجن، لا يوجد احتمال آخر.

أجبته بنبرة قاطعة لشكوكه: لا إنس ولا جن، المقتول حيوانات.

سألني الطبيب مسعد في فضول: حيوانات! كيف؟ ولماذا؟ ومن فعلها؟ وكيف عرفت؟

يا لفضول هؤلاء! كم أن فضول تقية كان أخف وطأة منهم! ليتها هنا.

أفقت من شرودي وقررت أن أجيبهم حتى لا يكثروا من الأسئلة فقلت: سأقص عليكم ما حدث ولا تقاطعوني. بالأمس عندما فحصت المصنع -وقد يئست أن أجد دليلًا بعدما نظفه العمال- وجدت ما روى ظمأي ولكنه قزز نفسي وجعلني أحمد الله أنني لا أحب اللحوم المصنعة، فقد وجدت آثار شعر وأظافر حيوانات، ليست أبقار أو أغنام أو أيِّ مما يؤكل لحمه، حتى أنها ليست لحوم حُمر إنسية ولكنها لحوم كلاب وقطط! لا تندهشوا هكذا فما يثير الدهشة والتقزز لم أذكره بعد. عندما واجهت العمال أثناء التحقيق بما رأيته اعترفوا بأبشع شيء سمعته أذني عن القسوة مع الحيوانات، صاحب المصنع واسمه شفيق وستعرفون فيما بعد أنه لم تتملكه الشفقة قط

كان لديه ميولًا سادية فقد أنشأ هذا المصنع خصيصًا لإشباع شهوته الدموية تلك، فاختار عماله بعناية ممن لم تدخل قلوبهم قط رأفة أو رحمة، جعلهم كل يوم يجوبون الأرجاء في المساء يبحثون له عن القطط والكلاب الضالة ويختطفونهم ثم يتوجهون بهم عند الفجر إلى المصنع فيدخلون بضائعهم من الباب الخلفي إلى غرفة السلخ حيث ينتظرهم شفيق وابنته رحمة التي لا تعرف الرحمة كأبيها، يجلس الرجل وابنته ينتشيان من السعادة عندما يستمعان إلى صرخات الحيوانات وهما يريان العمال ينتفون شعرهم أحياء ثم يسلخون جلدهم ويقتلعون أظفارهم وأسنانهم وبعد ذلك يأخذونهم إلى المصنع حيث يضعونهم في المفرمة وهم أحياء يصطرخون من الألم يطمعون في الشفقة في حين أن الرجل وابنته ينظرون ويضحكون بسعادة ونشوة وبعد ذلك يتركون العمال يستكملون عملهم بتعبئة بعض

اللحوم كلحم مفروم وتصنيع الباقي كلحوم مصنعة ثم بيعهم للناس على أنها لحوم أبقار، ليس هذا فحسب بل إنهم يصنعون من الشعر فرش الماكياج والرسم، ويصنعون من الأظافر والأسنان بودرة الوجه بعد خلطها بالأصباغ فيكونوا بذلك قد ظلموا البشر والحيوانات وملأوا جيوبهم بالأموال دون أن تتحرك ضمائرهم قيد أنملة، ما أثار حنقي أكثر من كل ذلك أن العمال والحراس لم يندموا على ما فعلوا أو يخشوا عقاب الله أو حتى حكم المحكمة بل كل ما يخيفهم أن يُقتلوا كما قُتل زعيمهم وابنته!

كان الجميع واجمون محتقنة وجوههم من الغضب وممتلئة عيونهم بالدموع، قطع الصمت صوت العم رابح وهو يقول بغضب: يستحقان ما حدث لهما، هذا السفاح أصاب هذه المرة بفعلته تلك.

غضبت من قوله وقلت: ما تقوله خطأ كبير بل جريمة، مهما فعل الإنسان فليس هذا مبررًا أن نقتله وبتلك البشاعة، لو بررنا لهذا القاتل فسنبرر لكل قاتل وينتشر الفساد في الأرض، من نعم الله علينا أنه وكل أمر القصاص لولي الأمر وهم الشرطة والقضاء، فلو تُرك الأمر دون رادع لقتلنا بعضنا البعض على أتفه الأسباب، كل من قتلهم السفاح مجرمون ولكن هذا ليس مبررًا لقتله لهم، كان من الأحرى والأفضل أن يخبر الشرطة بأمرهم ويقدم الدلائل أو يتركهم لعدالة الله لا أن يقتلهم بتلك الطرق البشعة.

حاول الجميع تهدئتي لكنني آثرت أن أفعل كما أمرنا رسول الله وأغير مكاني فقررت أن أعود إلى بيتي لأريح أعصابي ولكن ما إن وصلت بيتي حتى دق الباب فتعجبت من قد يكون القادم، وجف قلبي وتمنيت لو أجد الطارق هو

تقية ولكن آمالي تحطمت عندما فتحت الباب فوجدت رجلًا ملثمًا استغل دهشتي ودلف إلى الداخل فتبعته ووقفت أمامه وسألته: من أنت؟ وكيف تقتحم بيتي هكذا؟

كشف عن وجهه فكان آخر إنسان توقعت أن أراه، ترى هل هو السفاح؟

الفصل العشرون

"حمقاء"

تُرى أين ذهبت تلك الحمقاء؟ من أين لها بتلك القوة لتضربني تلك الضربة التي أفقدتني وعيي؟ الحمد لله أن قناع وجهي متصل بالبدلة لا يمكن فتحه وغير قابل للتمزيق حتى لا تعرف من أكون، لقد بحثت عنها في كل البيت وفي الخارج لم أجدها، لقد غبت عن الوعي عشر دقائق فقط فكيف اختفت بهذه السرعة؟! إن البيت في أطراف المدينة ولا توجد حوله أي مباني بل أرض فضاء لا يوجد فيها ما يعين على الاختباء! هل انشقت الأرض وابتلعتها؟! ليتني قتلتها منذ خطفتها، لا بد أن أغير البيت فقد تكشف موقعه لزوجها الأحمق. لقد نسيت أمر جرحي، رأسي تؤلمني ولا بد أنها نزفت، سأضمدها أولًا ثم أرحل من هنا على الفور.

مر يومان منذ انتقلت من بيتي القديم إلى هذا البيت المهجور ولا توجد أية أخبار عن عثورهم على مكان بيتي، ترى هل عرفوه وينصبون لي فخًا أم أنهم لم يعرفوا عنه بعد؟ وهذه الحمقاء لم أجدها حتى الآن ولم يعثر أحد على جثتها؛ لم تمت ولم تظهر فأين اختفت؟! الأمور تسير طبيعية في حياة سليمان ولا مجال للشك في أنه لم يجدها بعد، يبدو أن دماري سيكون على يد تلك الحمقاء، كلا لن يحدث فأنا سفير التطهير صاحب الجرائم الكاملة ولن يعرفوا من أنا أبدًا.

• هل ستظلين مختبئة كثيرًا؟ إن زوجك قلق عليك وعلى جنينكما، ومفتاح القضية في يدك ولا بد من حلها حتى لا يقتل هذا السفاح ضحايا آخرين.

● دعوه يقلق قليلًا فقد سبقني بها، دعوني أذيقه من مر ما أذاقني من قبل، إنني أمزح بالطبع هل صدقتم أنني أقوى على أن أتسبب لسليمان بنغزة ألم؟ لا بد من أن يطول اختفائي حتى نجمع كافة الأدلة لأتأكد من شكوكي ونقبض على السفاح، لو ظهرت الآن سيقتلني بلا رحمة، لا أخشى على نفسي ولا أهاب الموت لكنني وعدت نفسي ووعدتكم أن نهايته ستكون على يدي أنا ولن أتركه يهنأ بتطهيراته المزعومة، ألم تعدوني أنكم ستعينوني؟ هل سئمتم؟

• كلا لم نسأم، ولكن نريد أن نعرف فيمَ تخططين، كيف سنكشفه؟

● سأخبركم بكل شيء، ويجب أن نبدأ التنفيذ من الآن.

▪ ما هذا؟ أين أنا؟ إنها غرفة التحقيق! كيف أمسكتم بي؟ ومتى؟

■ هذه المرة نحن فقط من نسأل وأنت تجيب، أنت الآن في قبضتنا ولم تعد شبحًا بعد الآن، أكنت تظن أن أمرك لن يُكشف أبدًا؟ الأمر ليس بهذه السهولة، حقًا إنك ذكي وبارع في إخفاء الأدلة، لكن لكل مجرم نهاية وها قد حانت نهايتك.

▪ لست مجرمًا، أفهمتم، أنا سفير التطهير ولست مجرمًا.

■ كف عن الصراخ، لست في موطن قوة الآن، لقد وقعت في قبضتنا وانتهى الأمر فلا تكابر، هيا أخبرنا لماذا قتلت هؤلاء الناس؟

▪ لم أقتلهم، لقد طهرت العالم من شرهم، كان لا بد من قتلهم حتى يصبح العالم نظيفًا خاليًا من الشر وأهله.

■ وماذا فعلوا ليستحقوا تلك النهايات البشعة؟

▪ سعدون كان ظالمًا يأكل أموال الناس بالباطل ويستعبدهم، أم البلايا كانت بلاء على كل من عرفها، صادق لم يكن صادقًا بل كان سارقًا يمتص أموال الناس ويحتال عليهم فيغتني هو ويفتقروا هم، شفيق وابنته ظلموا البشر والحيوانات بقسوتهم وقذارة فعالهم، أبرأيك لا يستحقون القتل بعد كل ما فعلوه؟

■ ولطيفة؟ ماذا جنت تلك الطفلة لتقتلها؟

▪ كانت لطيفة أكثر من اللازم ومن هم مثلها لا مكان لهم على الأرض.

■ أأحمق أنت؟ كيف تدعي أنك تطهر العالم من الظالمين وفي الوقت نفسه تقتل فتاة بريئة لأنها لا تستحق العيش في هذا العالم الظالم كما تقول؟ طالما تود تطهير العالم لماذا لم تتركها تحيا في عالمك النقي؟!

▪ لأنها وأمثالها هم من أعانوا الظالمين على ظلمهم، لولا طيبتهم ومحبتهم للجميع وظنهم الحسن في كل الناس لما استغل هؤلاء ضعفهم وتجبروا عليهم، لولا الخير المطلق ما وُجد

الشر المطلق ولولا الشر المطلق لما وُجدت أنا.

■ ومن عينك قاضيًا وجلادًا تغير في نواميس الكون حسب أهوائك وظنونك؟

▪ لقد عينت نفسي، لقد وهبني الله قوة وذكاء وعلمًا لأوظفهما في الطريق الذي خلقني الله من أجله لأطهر العالم من العصاة الظالمين ليبقى الكون نقيًا للأطهار فقط.

■ لا يوجد عاقل يقول مثل قولتك! إن الله سن سنة في الكون أن يحتوي على الخير والشر معًا، الحياة لا تستقيم إن كانت خيرًا محضًا أو شرًا محضًا، ولست أنت من تتحكم بمصائر الخلق، ولست أنت من ولاة الأمور لتتولى تنفيذ الأحكام، طالما علمت بفساد هؤلاء توجب

عليك أن تبلغ الشرطة وهي من تتولى التحقيق معهم وإدانتهم ويتولى القضاء الحكم عليهم، أم أنك نسيت ما درسته وما يقتضيه عملك يا حضرة الضابط؟

▪ ضا... بط! كيف عرفت من أكون؟ ما زال القناع على وجهي فكيف عرفتني يا سليمان؟

ضحك سليمان ضحكة طويلة قطعها صوت الباب وهو يُفتح وصوت خطوات أقدام تدلف منه وتغلقه خلفها ثم صوت يقول: أنا سأخبرك بكل شيء أيها الأحمق.

▪ تقية!

● نعم تقية، تقية الحمقاء كما تدعي، تقية التي كنت تنوي قتلها هي وجنينها وتكمل بها تطهيراتك أليس كذلك؟

▪ كنت أود ذلك بالطبع ولولا قيودي تلك لفعلتها الآن أمام زوجك ولم يكن ليستطيع إيقافي.

● ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، وليس كل من يظن أنه عبقري هو كذلك، فها أنت ذا كنت تنعتني بالحمقاء طيلة الوقت والآن بِتَّ تعرف من منا الأحمق.

▪ أين اختبأتِ؟ لقد بحثت عنك في كل مكان لم أجد لك أثرًا، لم أندم على أي شيء فعلته في حياتي سوى أنني لم أقتلك.

● أتظن أنك وحدك القادر على إتقان دور الشبح؟ أنا أيضًا ذات ذكاء عالٍ لو تعلم، بل أنك تعلم، فذكائي هذا هو ما دفعك لاختطافي، أليس كذلك يا راشد؟ وأعتقد أنني أتفق معك في ندمك هذا، فلو قتلتني ربما ما كنت هنا الآن مكبلًا بقيود تقودك إلى الإعدام لنطهر نحن الكون منك.

■ لماذا يا راشد؟ لماذا كنت الحامي والطاعن في نفس الوقت؟ ظننتك صديقي، ظننتك حزينًا على الضحايا كما كنت تدعي، ظننتك أنت من سيحل القضية وتمسك بالمجرم فكيف أصبحت أنت المجرم؟!

▪ لا تصدق كل ما تراه عيناك وتسمعه أذناك فالقلب مقبرة النوايا.

■ هذه المرة الوحيدة التي أصدقك فيها بعدما عرفت سرك، والآن أخبرنا كيف نفذت جرائمك وما تلك المواد المبهمة التي استخدمتها؟

▪ لن أخبركم بشيء حتى تخبروني أنتم كيف كشفتم سري وكيف أحضرتموني إلى هنا؟

■ سنخبرك بكل شيء، فمن حقك تحقيق آخر أمنية لك قبل إعدامك.

▪ لا ضير من إعدامي بعد أن حققت هدفي الذي عشت لأجله وانتهاء مهمتي.

■ عجيب أمرك، أما زلت مقتنعًا أنك على الحق؟ لم أر مثلك في حياتي.

- ولن ترى مثلي قط فسفير التطهير واحد فقط.

الفصل الحادي والعشرون

"اعترافات"

بدأت تقية تسرد كيفية اكتشافها سر راشد

قائلة: عندما سمعت صوتك أول مرة بعد خطفك لي شعرت أنني سمعته من قبل، وفي كل مرة كنت تتكلم فيها كنت أمعن التركيز في صوتك حتى تأكدت أنني أعرفك ولكن لم أستطع الجزم بمن تكون ولكنني تأهبت للهرب في أية لحظة، وقد حانت اللحظة دون ترتيب مني وبعد أن أصبتك في رأسك وفقدت وعيك اختطفت المفتاح من يدك وخرجت من فوري إلى باب الشقة، خرجت فوجدت الظلام حولي ولا أدري أين أنا فأخذت أهرول هربًا قدر استطاعتي حتى سقطت أرضًا من شدة التعب فوجدت يدًا تحملني وتضعني في سيارة وفقدت وعيي، بعدما أفقت وجدت نفسي في بيت بسيط

ووجدت حولي أم حامد تعتني بي، حامد أخو حمدان زوج لطيفة ضحيتك الثانية، كان حامد هو من أنقذني منك وبقيت عندهم ليومين نخطط للإيقاع بك حتى استطعنا فعلها بفضل الله.

تعجب راشد وسألها: حامد! كيف عرف عنواني؟ وكيف أنقذك وهو لا يعرفك؟

أجابته تقية: عندما أفقت نادته أمه فاستأذن ودخل وجلس على كرسي بجواري وقال: "أليس أنت الطبيبة تقية أحد أفراد فريق التحقيق الجنائي الذين كانوا يرفعون الأدلة من موقع مقتل لطيفة زوجة أخي؟" أخبرته أنها أنا فتعجب وسألني عن سر وجودي في هذا المكان الموحش وحدي في وقت السحر فأخبرته عن اختطافك لي فقال: "أولا تعلمين

أن السفاح هو نفسه الضابط راشد رئيس المباحث؟"

فأجبته باندهاش: كنت أشك به والآن تيقنت من شكوكي، ولكن كيف عرفت؟ وماذا كنت تفعل في هذا المكان في ذاك الوقت؟

فأجابني بما زاد من دهشتي: كنت أراقبه.

فسألته: تراقبه! لماذا هو؟

فقال: في آخر مرة زرت مركز الشرطة قررت أن أبحث عن القاتل بنفسي، في أثناء سيري في الطريق استوقفني الأستاذ عامر أحد الشهود في قضية مقتل الضحية الرابعة للسفاح فشعرت أنه يستطيع مساعدتي، في

اليوم التالي توجهت إلى قريته وقابلته واتفقت معه على خطتي وهي أن نراقب الضابط راشد والمحقق سليمان فربما يراقبهما القاتل فنستطيع أن نراقبه حينها ونعرف من هو، كان الأستاذ مرعي يراقب زوجك وراقبت أنا الضابط، كانا طيلة اليوم معًا وفي المساء يعود كل واحد منهما إلى بيته، لم يظهر على سليمان طوال فترة مراقبتنا له أي شيء يثير الشكوك أما راشد فكانت أفعاله كلها تثير الشك؛ كان يركب سيارته ويتحرك كل يوم في طريق مختلف، يدخل من قرية ويخرج من قرية أخرى وفي النهاية يعود إلى نفس المدينة التي بها المركز الذي يعمل به ولكن على أطرافها، رغم أن المسافة بين سكنه ومحل عمله قريبة إلا أنه يتحايل في العودة كل يوم وهذا أثار شكي، زاغ من مراقبتي لأيام حتى استطعت في يوم أن أتبعه حتى منزله، كنت قد استأجرت سيارة لأتبعه بها فأوقفتها بعيدًا وأخذت أراقبه

يوميًا فكان يدلف بيته ولا يخرج حتى خرج أول أمس من البيت شخص مقنع يرتدي السواد من رأسه لأخمص قدمه ويحمل حقيبة جلدية سوداء، تبعته فزاغ مني ولم أعلم إلى أين ذهب فعدت إلى حيث بيت راشد وانتظرت لم يعد ذاك المقنع حتى اليوم التالي مساءً فدلف البيت مرتديًا زيًا عاديًا بشخصية الضابط فعلمت أنه هو نفسه السفاح لأنه كان يحمل على ظهره نفس الحقيبة، بعدها بنحو ساعتين خرجت أنت تركضين فركضت خلفك لأوقفك وأفهم منك سر ركضك لكنك لم تتوقفي، وناديتك لم تسمعي حتى خارت قواك فحملتك إلى السيارة ومنها إلى هنا.

قلت له بجدية: طالما أنك تود كشفه فلنتعاون معًا، هل توافق؟

فأجابني: بالطبع أوافق، سأتعاون معك أنا والأستاذ مرعي فهل لديك خطة؟

أجبته: الآن ستطلب من أستاذ مرعي أن يذهب إلى سليمان في البيت عندما يعود من عمله ويحكي له ما حدث معك ومعي ويخبره أن يتجهز لتنفيذ خطتي.

وذهب أستاذ مرعي إلى سليمان وأخبره بكل شيء وبعد يومين بدأنا بتنفيذ خطتنا، كنت قد طلبت من حامد أن يعود لمراقبتك على الفور ووجدك تترك البيت وتتجه إلى بيت مهجور، انتظرنا يومين ثم اختطفناك بعد أن خدرناك وجلبناك إلى هنا في نفس المكان الذي عملت به وكان من المفترض أن تحمي الناس ولكنك قتلتهم، هنا أنا وأنت وسليمان والضابط رأفت ومن وراء الزجاج يقف حامد ومرعي وقادة

المركز مستعدون جميعنا لنبدأ التحقيق معك، والآن حان دورك لتحكي لنا ما الذي حملك على ما فعلت؟ وكيف ارتكبت جرائمك وحددت ضحاياك؟

بدأ راشد يبثهم أسراره قائلًا: منذ سنوات أرى العالم حولي يمتلئ بالجرائم بسبب انتشار الشر فراودتني نفسي أن أنقذ العالم من الظالمين، قررت أن ألتحق بالشرطة لأدافع عن المظلومين ولكن بعد تخرجي وتحقيقي مع المجرمين تغيرت طريقة تفكيري فقررت أن أقضي على المجرمين بيدي، كنت مهووسًا منذ الصغر بعلم الكيمياء ومن شدة حبي له اشترى لي والدي أدوات المختبر وأصبحت مهووسًا بتركيب المواد وتعلمت وطورت نفسي بنفسي حتى كان الجميع يظن أنني سألتحق بكلية العلوم وتعجبوا من التحاقي بكلية الشرطة لكنني لم أتوقف عن تجاربي واستطعت اختراع

خنجر يذبح الضحايا ويوقف النزيف في نفس الوقت فأنا لا أحب رؤية الدماء، واخترعت أيضًا أقراصًا صغيرة توضع في الفم فتنتفخ تنتفخ حتى تتسبب في انفجار الجسد وذوبانه ولقد رأيتم ذلك بأنفسكم، واخترعت أيضًا سائلًا فور أن يسقط على الجلد يذيبه ويحرقه هو واللحم دون أن يترك فرصة للنزف، كما أنني اخترعت مادة تُكسب القماش صلابة كأنه درع حديدي فصنعت منها بذلتي التي أرتديها الآن وحقيبتي وحذائي، لقد طورتها فأصبحت لا تترك أثرًا نهائيًا واخترعت مخدرًا أيضًا أرشه عن بعد 100 متر فيتغلغل إلى رئة كل من يستنشقونه فيفقدون الوعي ثم يستيقظون بذاكرة ممسوحة لا يتذكرون أنهم فقدوا وعيهم، والآن وقد جهزت أدواتي بقي لي تنفيذها على أرض الواقع ولكن في هذا الوقت انتقلت إلى هنا فكثفت بحثي عن المجرمين الذين سأنفذ فيهم تطهيراتي فعرفت عنهم كل

شيء وبدأت التنفيذ على التوالي، وكان هناك المزيد من التطهيرات لكنكم أحبطتم آمالي. أما عن كيف قتلتهم فقد قررت أن يكون جزاء كل واحد منهم من نفس عمله؛ سلخت وجه سعدون بذاك السائل كما كان يسلخ الناس فيما يفرضه عليهم من جباية ولكنه مات من الألم بسرعة كنت أود لو يتألم أكثر وأسلخ جلده لكنه نجى مني، وضعت في فمه تلك الحبة لتشتعل بطنه نارًا كما كان يأكل مال الفقراء بالباطل، أما عن لطيفة فقد جئت من خلفها وذبحتها بخنجري ثم مزقت لسانها وقطعته وأعدته إلى فمها حتى لا ينطق بطيب الكلام مجددًا ثم فتحت صدرها وأخرجت قلبها الطيب هذا ومزقته حتى لا يحب أحدًا بعد الآن ثم أعدته إلى مكمنه ومعه قرصًا من تلك الأقراص لتنفجر وتصبح رمادًا فلا يبقى لها أثر، وأما عن أم البلايا فقطعت أطرافها حتى لا تتحرك وهي ترى وتتألم ولا تستطيع أن تصرخ بعد أن

مزقت لسانها أولًا واستمريت بتمزيق جسدها حتى ماتت ثم نثرته للكلاب الضالة، مزقتها كما مزقت حيوات أهل قريتها بسحرها وحسدها، وأما عن صادق فقد هاجمته بغتة فغرزت خنجري في أعلى بطنه وفتحتها كلها وأخرجت أحشاءه فسقط أرضًا وقد ارتعب وجهه بعد أن كان مبتسمًا عندما فتح لي الباب ظنًا منه أنني سأعطيه صدقة كما أخبرته، بعد أن انتزعت أحشاءه وضعتها بجواره وبحثت عن زكائب أمواله حتى وجدتها أسفل سريره فأخرجتهم ووضعتهم بجوار جثته بعد أن حشوت بطنه الفارغة -كما كانت حياته- بالأموال التي قضى عمره ينتزعها من الناس بحجة الصدقة لعلها تشتعل في بطنه وفمه نارًا، وأما آخر تطهيراتي شفيق وابنته رحمة واللذان كانا لا يتمتعان بأي شفقة أو رحمة ففرمتهما أحياء كما كانا يفعلان مع الحيوانات ليذوقا وبال ما اقترفا ثم وزعت لحم الرجل على الكلاب

والقطط الضالة ليأكلانه كما كان يفعل مع بني جنسهم، أما ابنته فوضعتها في الكيس كما وجدناها رغبة مني أن أضلل سليمان وأقهره قليلًا لكنه بذكائه المعهود اكتشف أن تلك الأشلاء ليست لزوجته، وهذه حكايتي التي انتهت بما فعلتموه والتي لولاكم لاستمرت تطهيراتي حتى تنتهي حياتي ولم يكن ليكشف سري أحد.

الفصل الثاني والعشرون والأخير
"آخر التطهيرات"

بعد أسبوع من القبض على راشد والذي كان حديث الصحف وقنوات الأخبار ومواقع الإنترنت طيلة الفترة الماضية نشرت الصحف خبرًا بعنوان "انتهاء أسطورة القاتل الشبح" والذي كان مفاده انتحار راشد بعد القبض عليه لقتله ٦ ضحايا بطرق بشعة، وقد ترك رسالة كتب فيها "لا ينبغي أن تنتهي أسطورة سفير التطهير كنهاية أي مجرم، لست مجرمًا لتعدموني، وإن كنت ولا بد ميتًا فسأكون آخر تطهيراتي وسأنهي حياتي بنفسي." وجدناه مسمومًا بمادة لا نعرف كنهها حتى الآن فمات وأخذ سرها معه، كان فذًا في الكيمياء فليته استثمر موهبته العبقرية تلك في الخير وإفادة الناس.

● سليمان، فيم أنت شارد؟ أنشروا الخبر بهذه السرعة؟ يا لسرعة الصحافة في اقتناص الأخبار! دعك من راشد الآن، فالحمد لله الذي أراحنا منه، فلدي عدة أخبار لك.

• أثرت فضولي يا تقيتي، يبدو أنني تشربت الفضول منك، ما هي تلك الأخبار؟

● لقد هاتفتني العمة راضية أم حامد لتطمئن علي وأخبرتني أن حامد بعد القبض على راشد توجه إلى المستشفى وفرحها بالخبر وبكى العم ضياء وبدأ يتعافى وها هو اليوم تكلم بأول كلمة منذ قتلت ابنته وقال: "الحمد لله" بعدما أخبراه أن السفاح قتل نفسه وانتصر الله لهم وانتقم من قاتل ابنتهم، واليوم هاتفها حامد وأخبرها أن حمدان أفاق من غيبوبته بعد أن

أخبره أن حق لطيفة قد عاد وقريبًا سيعود للبيت بعد أن يطمئنوا عليه، كما أنها أخبرتني سرًا أن حامد يزعم خطبة إحدى بنات الأستاذ مرعي ولكن بعد فترة بعد أن يتعافوا جميعهم من آثار مقتل لطيفة وقد أخبر أباها بذلك ووافق على الانتظار فهو يحب حامد بشدة ويعتبره ولده، كما أنها تتمنى لو يخطب حمدان ابنته الأخرى لعله يحيا حياة طيبة خالية من المنغصات فيعوض ما عاناه لكنها تظن أن الأمر سيطول ليقتنع بهذه الفكرة، العمة حزينة لتفكيرها هذا فقد كانت تحب لطيفة وتشعر أنها خانتها بهذا التفكير لكنها تتمنى أن يسعد ابنها الذي لم تكتمل سعادته قط فطمأنتها أنها لم تخطئ وهذا حقهما، لكنها تخشى على شعور والد لطيفة وأخوتها اللذين يقيمون معهم ريثما يتعافى الرجل فأخبرتها أن الأمر يستحق الصبر والانتظار بحق.

• أسأل الله أن يهديهم لأرشد أمورهم ويسعد قلوبهم ويعوضهم خيرًا.

● يا رب. أما الخبر الثاني فهو أن العمدة أخبرني أنه يريدك لتذهب إليه ليدعوك لوليمة يشترك فيها أهل القرية جميعًا ليحتفلون بعودتي سالمة، كم أنا مؤثرة!

• نعم نعم، مؤثرة بالطبع.

● لماذا تضحك؟ أتسخر مني؟

• بالطبع لا يا عزيزتي، أضحك على غرورك وأنت تقولين أنك مؤثرة، لست مؤثرة فحسب فالحياة بدونك لا تطاق، أسأل الله أن لا يحرمني منك ما حييت ولا في الجنة أيضًا.

• لا تقلق يا زوجي فأنا قابعة على قلبك في الدنيا والآخرة ولا فكاك مني.

• وهذا ما أتمناه يا تقيتي.

• آخر خبر يا عزيزي هو أنني أوشكت أن أنهي شهري الثالث في الحمل وحينها سأدخل الشهر الرابع ونستطيع معرفة هل أحمل بداخلي فتى أم فتاة، كم أنا متحمسة! ترى هل سأعرف في بداية شهري الرابع أم الخامس؟

• لا يهم يا عزيزتي في أي شهر تعرفين، فلن نعرف نوع الجنين إلا يوم ولادته، أريدها مفاجأة، ستكون مبهجة أكثر خاصة بعد طول الانتظار.

• معك حق، أتفق معك، ولكن لنتفق من الآن؛ إن كان ولدًا سأسميه سلمان فأنا تأسرني شخصية سيدنا سلمان الفارسي -رضي الله عنه- بشدة، وإن كانت فتاة سأسميها عائشة على اسم أم المؤمنين -رضي الله عنها-.

• بالنسبة للفتاة فأتفق معك في اسمها لعلها تقتدي بأمنا، أما بالنسبة للفتى فسنسمي ابننا الأول سالم على اسم أبي -رحمه الله- ونسمي الثاني سلمان بإذن الله.

• أتعلم؟ لولا أنك اخترت اسم أبيك لما تنازلت عن اسم سلمان أبدًا.

• لا تنزعجي عزيزتي، القادمات أكثر بإذن الله، أتمنى أن ننجب أكثر من طفلين حتى لا يصبحا

مثلنا بلا أقارب بعد وفاة آبائنا وأخيك -رحمهم الله-.

- رزقنا الله ذرية صالحة مباركة ورزقنا برهم.

- يا رب. أما أنا فلدي خبر سعيد آخر.

- ما هو؟ أثرت فضولي، هيا أخبرني.

- وهل تركت لي مجالًا لأتحدث؟ لقد هاتفني مدير أمن الغربية وأخبرني أنه سيتم تكريمنا أنا وأنت والضابط رأفت وحامد والأستاذ مرعي على جهودنا في حل لغز القضية.

● حقًا؟ هذا شيء مبهج، بالطبع أنا صاحبة الفضل الأكبر لكن لا شك أن لكم فضلًا في ذلك أيضًا.

• كُفي عن غرورك المصطنع هذا يا عزيزتي فالفضل لله وحده وما نحن إلا أسباب.

● بالطبع، فله الحمد دائمًا وأبدًا.

بعد ستة أشهر...

● سليمان، لقد هاتفتني العمة راضية اليوم ودعتني لخطبة حامد وحنان ابنة الأستاذ مرعي، هل سنذهب؟

• بالطبع سنذهب، لقد هاتفني حامد وكذلك الأستاذ مرعي وقاما بدعوتي وأخبراني أنهما لم يدعوا أي شخص خارج الأسرتين سوانا، فلن نخذلهما بالطبع.

• حسنًا، سأجهز نفسي.

• الخطبة غدًا يا تقية، أستجهزين نفسك من الآن؟!

• انظر إلي، أنا في منتصف شهري التاسع وأود أن أبحث عن فستان يناسب وزني الزائد حتى يكون محتشمًا فضفاضًا.

• لا عليك يا عزيزتي، سأذهب لأشتري لك ما يناسبك حتى لا تبذلي مجهودًا.

في اليوم التالي....

كان سليمان وتقية في سيارتهما عائدين إلى البيت من خطبة حامد وحنان يتحدثان عن الخطبة فقال سليمان: أعجبني أن الرجال كانوا في مكان والنساء في مكان، رغم قلة العدد لكن الاختلاط لا يجوز سواء كان عددًا كبيرًا أم قليلًا.

قالت تقية: لقد ألبست العم راضية الشبكة للعروس ولم يجلس معها خطيبها ولم يلتقطا الصور كما يحدث هذه الأيام، كما أنها كانت محتشمة ولا تضع صبغات على وجهها أو يدها، كنت أخشى أن يحتوي الحفل على موسيقى وتجاوزات لذا كنت مترددة من الحضور.

قال سليمان نافيًا: لم أشك في ذلك قط فالعم مرعي وحامد يتقيان الله، أتعلمين ما هو أكثر شيء أبهجني في ذلك كله؟

سألته تقية في فضول: ما هو؟

ابتسم سليمان، فهو يحب أن يثير فضولها، ثم قال: أنني وجدت حمدان يبتسم لأول مرة منذ أفاق من غيبوبته، بدأت تعود له حيويته، أرجو أن يتعافى قريبًا، كما أنني استبشرت لرؤية العم ضياء يسير على عكاز ولم يعد يستعمل الكرسي المتحرك، لقد بشرني الأطباء بقرب شفائه بإذن الله، لقد بدأ رحلة العلاج الطبيعي فأرجو له الشفاء التام عن قريب...

كاد سليمان أن يكمل حديثه لكن قاطعه صوت صرخات تقية من الألم فجأة فعلم أن ساعة

ولادتها قد حانت فتوجه مباشرة إلى المستشفى التي تعمل بها الطبيبة التي تتابع حمل تقية.

ولدت تقية عند الفجر، بعدما نقلوها غرفتها تبعها سليمان مستبشرًا وهو يحمل بين يديه طفله وخلفه الممرضة تحمل طفلًا آخر فقال سليمان بسعادة مخاطبًا زوجته: حمدًا لله على سلامتك يا حبيبتي، أبشري، لا مجال للتناحر بيننا بعد اليوم في من يفوز بتسمية المولود، لقد أنجبت سالم وسلمان، الحمد لله على فضله وكرمه.

لم تتمالك تقية دموعها من الفرحة وقالت: الحمد لله الذي رزقنا أفضل مما نتمناه، اللهم أنبتهما نباتًا حسنًا وأحيهما في رضاك وتوفهما مسلمين.

تمت بفضل الله ومنه وكرمه.

{وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِىَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ}

إلى اللقاء بإذن الله في الجزء الثالث.